٦٥





أبواب الموت

ملف المستقبل

سلسلة روايات بوليسية للشباب من الخيال العلمى

المؤلف



د. نبيل فاروق

أبواب الموت

- تُرى. أين ذهب (نور)، بعد أن صحبه فرسان (أدريكا) فى رحلتهم الضوئية؟
- هل يواجه (نور) وحده الاستعمار السوريتى، على كوكب (جودان)؟
- من يحظى بالنصر ياتُرى، فارس الأرض، أم (أبواب الموت)؟
- اقرأ التفاصيل المثيرة، وانتقل مع (نور) إلى معجزات القرن الحادى والعشرين.

٦٥



الثمن فى مصر

ومايعادله بالدولار الأمريكى فى سائر الدول العربية والعالم

الناشر
المؤسسة العربية الحديثة
للطبع والنشر والتوزيع

العدد القادم: الشمس الزرقاء



١ ــ مفقود فى الفضاء ..

هبّت النسائم الرقيقة ، وداعبت الأزهار فى رفق ، فى تلك الليلة من ليالى الربيع ، وبدا الجوّ كله منعشًا ، مبهجًا للنفوس والقلوب ، باعثًا للنّشوة فى العروق ..

ولكن ذلك المشهد ، فى حديقة منزل (نور) ، على ضوء القمر ، لم يكن يشير إلى أى من ذلك أبدًا ..

بل على العكس تمامًا ..

كان هناك أربعة أفراد يجلسون فى الحديقة صامتين ..

الدكتور (عبد الله) ، رئيس إدارة البحث العلمى ، التابعة للمخابرات العلمية المصرية ..

والدكتور (محمد حجازى) ، كبير الأطباء الشرعيّين فى (مصر) ..

و (سلوى) زوجة (نور) ، وابنته (نشوى) ..

وكان الصمت هو المسيطر الأوّل على المكان ، ويليه جوّ من الحزن والكآبة ، ظهر واضحًا فى ملامح (سلوى) ، وفى الدموع الصامتة المنسالة على وجنتيها ، وهى تتطلّع إلى السماء والنجوم ..

ثم قطع صوت (نشوى) جوّ الصمت ، وهى تقول فى خفوت ، يحمل قدرًا هائلًا من الصلابة والحزم والثقة :

ــ سيعود .

تطلّع إليها الدكتور (عبد الله) ، والدكتور (حجازى) فى إشفاق ، ثم غمغم الأخير فى لهجة بدت مجاملة فى وضوح :

ــ بالتأكيد .

ثم أدار الجميع عيونهم إلى (سلوى) ، التى بدا وكأنها لم تسمع شيئًا مما قيل ، وإن ازدادت دموعها غزارة ، وهى تتطلّع إلى النجوم ، وتتساءل عن مصير زوجها ، الذى اختفى بينها ، والذى أصبح مفقودًا فى فضاء شاسع لانهائىّ ..

لم تكن تعلم كيف بدأ الأمر ، ولماذا ؟..

وكان هذا يزيدها حزنًا ومرارة ..

ولقد كان من العسير حقًّا أن تعرف ــ فى وضعها الحالى ــ كل التفاصيل ، فالأمر لم يبدأ هنا ، على كوكب الأرض ، وإنما بدأ بعيدًا فى غياهب الفضاء ، خلف سديم كونىّ عجيب ، يخفى كونًا آخر ، على سطح كوكب شديد الشبة بكوكب الأرض ..

كوكب يُدعى (جودان) ..

لقد كان ذلك الكوكب قد خرج لتوّه من حربه العالمية التاسعة ، التى أسفرت عن انتصار ساحق لـ(السوريت) ، واحتلالهم لـ(أدريكا) ، وعن فرار ملك هذه الأخيرة ، واختبائه فى مخبإ سرّىّ للغاية ، مع فرسان بلاطه السبعة ، الذين يرأسهم الفارس (جوشا) .. أعظم فرسان (جودان) ..

واستسلم شعب (أدريكا) تمامًا لذلك الاحتلال ، وخبت فى نفوسهم وقلوبهم بذرة الكرامة والحرّيّة ، وكان من الضرورىّ أن يجد هؤلاء رمزًا يعيد إليهم حماستهم المفقودة ، ويدفعهم للثورة ..

وكانت هناك أسطورة ..

أسطورة عن سيف بلّورىّ ، مغروس داخل كتلة من (الدومان) ، وهو معدن لا مثيل له على كوكب الأرض ، ولكنه أصلب معادن الكون ..

وكانت الأسطورة تقول إن غريبًا سينجح فى انتزاع السّيف من كتلته ، وسيقود (أدريكا) إلى الحرّيّة والنصر .

ولكن السيف كان قد اختفى على كوكب الأرض ..

وانطلق فرسان البلاط الملكىّ السبعة إلى الأرض ، لاستعادة (السيف البلّورىّ) ..

واشتعلت الحرب على كوكب الأرض ..

وبعد قتال رهيب مرير ، توصَّل فرسان البلاط إلى (السَّيف البلَّورىّ) ، على الرغم من مقاومة (نور) ورفاقه لذلك ..

وفجأة .. انتزع (نور) السَّيف من كتلة (الدومان) ..

والتف الفرسان حول (نور) ، وحوَّلوه معهم إلى حزمة من الضوء ، انطلقت بلا هوادة إلى (جودان) ..

وهكذا أصبح (نور) مفقودًا ..

مفقودًا فى الفضاء اللامتناهى(*)..

ولم تكن (سلوى) تعلم سوى ذلك الجزء الأخير ..

بل إنها لم تكن تعلمه كله ، فهى لا تعلم أين ذهب (نور) ، وما سرّ ذهابه ..

لقد شاهدت (محمود) يصاب ، و (رمزى) أيضًا ، وعلمت أنها وابنتها قد نجوا ، وأن (نور) قد اختفى ..

اختفى إلى الأبد ..

(*) لمزيد من التفاصيل راجع الجزء الأوَّل (السَّيف البلَّورىّ) .. المغامرة رقم (٦٤) .

ومرَّة أخرى ازدادت دموعها غزارة ، فغمغم الدكتور (عبد الله) :

ـ لا ينبغى أن نفقد الأمل بهذه السرعة ، فـ (نور) لم يختف إلا منذ أسبوع واحد ، و .....

قاطعته (سلوى) فى حزن هائل :

ـ وماذا ؟

شحب وجهه ، وهو يحاول أن ينطق بشىء ما ، ثم لم يلبث أن خفض وجهه ، مغمغمًا :

ـ وما زال هناك أمل .

عادت (نشوى) تقول فى صلابة :

ـ أنا واثقة من عودته .

سألها الدكتور (محمد حجازى) فى اهتمام :

ـ وما سرّ كل هذه الثقة ؟

أجابته فى تردُّد :

ـ إنها حساباتى .

التفتت إليها أمها فى دهشة ، وهى تقول :

ـ أيَّة حسابات ؟

تردَّدت (نشوى) لحظات ، وهى تنقِّل عيونها بينهما ، ثم لم تلبث أن أطرقت بوجهها مغمغمة :

— حسابات الكمبيوتر .

حدّق الجميع فى وجهها بدهشة ، وغمغمت أمها فى توتُّر :

— لم أكن أعلم أن الكمبيوتر قد دخل إلى عالم الغيب وقراءة المستقبل والطالع .

هتفت (نشوى) :

— إنه ليس كذلك .

صاحت بها (سلوىَ) فى حِدّة :

— ماذا تَعْنِى نبوءَته هذه إذن ؟

بدا الضيق على وجه (نشوى) ، وهى تقول :

— إنها ليست نبوءَة .. إنه استنتاج علمىّ منطقى ، مدروس بكل دقّة .

اعتدل الجميع ، وبدا أن كلماتها قد جذبت انتباههم فى شدة ، وأحيت الأمل فى قلوبهم ، فسألتها (سلوى) فى لهفة :

— وكيف توصّل الكمبيوتر إلى هذا الاستنتاج ؟

اعتدلت (نشوى) بدوْرِها ، وبدا وكأنها قد استعادت ثقتها وحماسها ، وهى تقول :

— لقد غذّيت الكمبيوتر بكل ما حدث ، بكل المشاهد والصُّوَر والتفاصيل ، مهما بلغت دقّتها ، منذ عثورنا على

(السّيف البلّورىّ) ، وحتى اختفاء والدى ، وتركت الكمبيوتر يدرس كل ذلك ، ويرتبه ، ويضع العلاقات بين أطرافه ، حتى أعطى فى النهاية هذا الاستنتاج .

صمتت لحظة لتزدرِدَ لُعابها ، وكأنما تسعى لترطيب حلقها ، الذى جفّ من شدة انفعالها ، ثم استطردت :

— لقد وجد الكمبيوتر أن هؤلاء الغزاة قد قدموا من كوكب آخر ، لهدف محدود ، ألا وهو العثور على (السّيف البلّورىّ) واستعادته ، وأن غزو الأرض لم يكن أبدًا ضمن أهدافهم ، بدليل أن أسلحتهم لم تقتل أرضيًّا واحدًا ، بل اقتصر أثرها على المعدات والآليّات فحسب ، ثم إنهم لم يحاولوا أبدًا قتل العُزّل ، أما عن السّيف نفسه .. فمن الواضح أنه قد صُنع بخاصية فريدة ، وهى أنه ما من قوة يمكنها انتزاعه من قاعدته ، ما لم تتوافق الذبذبة الحيوية لمن يمسك مقبضه ، مع ذبذبته الخاصة .. وهذا ما حدث عندما جذبه أبى من قاعدته فى يُسر ، على حين عجز أقوى أقوياء العالم عن ذلك .. وهذا يَعْنِى أن أبى قد أصبح — بفعلته هذه — قائدًا لأولئك الذين كنا نظنّهم غزاة .. وما دام القائد يُمْلِى أوامره دوْمًا ، وما دام والدى لن يستغنى عن وطنه وكوكبه وأهله ، إذن فهو سيعود .

هتف الدكتور (حجازى) مبهورًا :

ـ يا إلٰهى !.. لو أن هذا الاستنتاج صحيح ...

قاطعته (نشوى) فى حزم :

ـ إنه كذلك .

هتف مشدوهًا :

ـ ولكن ما الدليل على ضرورة كَوْن من ينتزع السَّيف من قاعدته قائدًا أو ملكًا ؟

تخضَّب وجهها بحُمْرة الخجل ، وهى تغمغم :

ـ لأن الكمبيوتر وجد تشابهًا بين ذلك الموقف ، وبين أسطورة قديمة للملك (آرثر)(*) .

خيَّم على المكان صمت رهيب ، بعد أن ألقت عبارتها الأخيرة ، وإن اختلف الموقف كله عن فترة الصمت السابقة ؛ إذ جفَّت دموع (سلوى) ، وضاع الحزن من ملامح

(*) الملك (آرثر) : ملك بريطانى ، تشير الأبحاث التاريخية إلى أنه قد حكم (بريطانيا) فى حوالى عام (٦٠٠ م) ، نُسِجَتْ حوله العديد من الأساطير ، وتناول حياته العشرات من المؤلفين والشعراء .. وتقول الأساطير إنه كان يحكم من قصره فى (كاميلوت) ، مع فرسانه ، حول مائدة مستديرة ، وترتبط فترة حكمه بالسحر ، وبالساحر الشهير (ميرلين) .

الدكتور (حجازى) والدكتور (عبد الله) ، قبل أن تغمغم (سلوى) :

ـ الأساطير مرَّة أخرى !!.. كنت أظننا قد تركناها خلفنا فى كوكب الأساطير(*) .

غمغم الدكتور (حجازى) :

ـ الأساطير لا تنتهى أبدًا ، ولقد أصبحت أكثر ميلًا إلى نظرية (نشوى) .

ورفع رأسه إلى السماء ، مستطردًا فى حزم :

ـ إنه سيعود .

* * *



(*) راجع قصة (الأسطورة) .. المغامرة رقم (٥٠) .

٢ ــ جـودان ..

كانت رحلة (نور) من الأرض إلى (جودان) من أعجب الرحلات فى تاريخه كله ..

لقد انتزع (السّيف البلّورىّ) من قاعدته المعدنية ، داخل المعمل النووىّ الخاص ، فى مبنى إدارة المخابرات العلمية فى (مصر) ، ثم أحاط به الفرسان ، وتألق السّيف ببريق أخضر رائع ، و .....:

وضاع كل شىء ..

إنه لا يجد عبارة أفضل من تلك العبارة السابقة ، لشرح كل ما حدث فى جملة واحدة ..

لقد خُيّل إليه أن كل شىء من حوله يتلاشى ، ويتحوّل إلى ضوء مُبهر ، ثم خُيّل إليه أن جسده يتفكّك فى رفق ، ودون ألم ، وأن ذرّاته تنساب فى مجرى ناعم مخملى رقيق ، وقد فقد إحساسه بالزمن والمكان ، وأحاطت به موسيقى ناعمة هادئة ، أو أنه هو تخيّل ذلك ..

ولقد تصوّر لحظة أنه قد مات ..

تصوّر أنه يعبُر ذلك البرزخ الرّبّانىّ ، الذى يفصل عالم الموتى عن عالم الأحياء ..

ومن المدهش أنه قد شعر بارتياح شديد لذلك ، كما لو أنه كان يسعى للموت طيلة عمره ..

وفجأة .. انتهى كل شىء ..

عاد فجأة شعوره بالزمان والمكان ، وخُيّل إليه أن جسده يتماسك مرّة أخرى ، وأن ذرّاته تعود إليه ، وأنه يهبط على قدميه فى رفق ..

ثم اتضحت الصورة ..

لقد وجد نفسه يقف داخل قاعة كبيرة مغلقة ، ويحيط به الفرسان الخمسة أنفسهم ، وأمامه رجل هادئ وقور ، يتمتع بنفس البشرة البرونزيّة المعدنيّة اللامعة ، وبشعر فضىّ متألق ..

ودون أن يفتح (نور) شفتيه ، ودون أن يصدر منه صوت واحد ، وبرسالة عقلية خالصة ، هتف :

ــ أين أنا ؟

أجابه ملك (أدريكا) فى وقار :

ــ أنت على كوكب (جودان) أيها الأرضىّ .. مرحبًا بك قائدًا لجيوش (أدريكا) .



تنبّه (نور) فجأة إلى أنه مازال يمسك ذلك (السَّيف البلّوريّ) ، الذى فقد بريقه الأخضر ، وعاد إلى شفافيته ، فرفعه إلى وجهه ..

عقد (نور) حاجبيه ، وقد بدت له كل الأسماء عجيبة ، وهتف فى حِدّة :

— ومن قال إننى أقبل ذلك المنصب ؟

أشار الملك إلى يد (نور) ، وهو يقول :

— هذا .

تنبّه (نور) فجأة إلى أنه ما زال يمسك ذلك (السَّيف البلّوريّ) ، الذى فقد بريقه الأخضر ، وعاد إلى شفافيته ، فرفعه إلى وجهه ، مردّدًا فى حَيْرة :

— هذا ؟!

ثم رفع عينيه إلى الملك فى تساؤل ، فأجابه هذا الأخير فى هدوء :

— ستفهم أيها الأرضيّ .. سأخبرك بكل شىء ...

* * *

عَبَر وزير الحرب السوريتى ساحة ملك (السوريت) ، فى خطوات عسكرية صارمة ، وتوقَّف على قيد متر واحد من هذا الأخير ، وانحنى فى احترام ، قائلًا :

— مولاى .

سأله ملك (السوريت) فى غطرسة :

ـ ماذا هناك يا وزير الحرب ؟

اعتدل الوزير ، وقال فى لهجة توحى بخطورة الأمر :

ـ إنه خبر سرّىّ للغاية يا مولاى .

تطلّع إليه الملك لحظة فى صرامة ، ثم أشار بيده ، فغادر حرّاسه ووصيفاته المكان ، وانحنى هو يسأل وزير حربه فى اهتمام مشوب برنّة غاضبة :

ـ والآن أى خبر هذا ، الذى يدفعك لقطع لحظات راحتى هكذا ؟

انتصبت قامة وزير الحرب ، وهو يقول فى حزم :

ـ لقد عاد (السّيف البلّورىّ) يا مولاى .

شحب وجه ملك (السوريت) ، وامتقع فى شدة ، وتراجع على عرشه ، وارتجفت شفتاه ، وهو يغمغم فى ارتياع :

ـ (السّيف البلّورىّ) ؟! ولكن هذا مستحيل !! لقد أكّد جواسيسنا ، قبل أن نبدأ حربنا ، أن (السّيف البلّورىّ) قد اختفى إلى الأبد .

وافقه وزيره بإيماءة من رأسه ، وقال :

ـ هذا صحيح يا مولاى ، ولولا ذلك ما كانت حربنا ، وما كان انتصارنا على شعب (أدريكا) ، فكلنا نعلم تأثير ذلك

السّيف فى نفوس هؤلاء القوم ، وكلنا نعلم أن عودته قد تؤدّى إلى ثورتهم ، وإلى هزيمتنا .

ازداد شحوب وجه الملك ، وغمغم :

ـ وكيف ؟.. كيف علمتم أنه قد عاد ؟

أجابه الوزير فى صوت يشفّ عن ثورة أعماقه :

ـ لقد سجّلت أجهزتنا رحلة ضوئية فضائية ، قام بها بعض (الأدريكان) ، بأسلوبهم المتطوّر ، وسجّلت انتهاء تلك الرحلة على كوكب من كواكب ماوراء السديم .. ولقد تصوّرنا أن ملك (أدريكا) ، يفرّ من هنا ، إلّا أن أجهزتنا لم تلبث أن سجّلت رحلة عودة ، كانت تحوِى فى منتصفها حزمة ضوئية خضراء .. وكلنا يعلم أن (السّيف البلّورىّ) وحْده ، يصنع ذلك اللون الأخضر ، فى الرحلات الفضائية الضوئية .

ازداد تراجع ملك (السوريت) فى عرشه ، وبدا وكأنه ينكمش فيه ، وهو يغمغم فى ارتياع :

ـ يا للخالق !!.. إن ذلك الضوء الأخضر لا يَعْنِى عودة السّيف وحده ، بل يَعْنِى أيضًا عودة ذلك المنقذ الغريب ، الذى تتحدّث عنه تلك الأسطورة ، التى يردّدها هؤلاء القوم منذ شهر كامل .

مال الوزير نحوه ، قائلًا فى حزم :

ـــ ولكننا حدَّدنا موضع هبوط الرحلة الأخيرة يا مولاى .

عادت الدماء إلى وجه ملك (السوريت) ، واعتدل على عرشه ، وهو يهتف :

ـــ حقًّا ؟!.. وماذا فعلت إزاء ذلك ؟

ابتسم الوزير فى زهو ، وقال :

ـــ قواتنا كلها تحاصر المنطقة الآن يا مولاى ، وما هى إلَّا ساعة واحدة ، ونُهدى إليك (السَّيف البلُّورىّ) .

وازداد اعتدالًا ، وهو يستطرد فى فخر :

ـــ ورأس المنقذ الأسطورىّ .

* * *

تنهَّد (نور) فى عمق ، بعد أن استمع إلى ملك (أدريكا) ، وبدا وكأنه قد استغرق فى تفكير عميق ، قبل أن يلتفت إليه ، قائلًا بعقله :

ـــ إذن فالأمل الوحيد فى تحرُّركم ، هو أن أقود أنا معركة التحرير ، حاملًا (السَّيف البلُّورىّ) .

أومأ الملك برأسه إيجابًا ، وقال :

ـــ هذا صحيح .. ولا يمكننا إجبارك على القيام بذلك ،

فهى معركتنا لا معركتك ، ولكن ما دمت قد نجحت فى انتزاع (السَّيف البلُّورىّ) من كتلة (الدومان) .. فهذا يعْنى أنك تتمتع بكل صفات القيادة ، ويعْنى أيضًا أنك لن تتخلَّى عنا .

عقد (نور) حاجبيه ، وهو يقول :

ـــ صدِّقنى يا مولاى .. إننى أكره الاستعمارية جدًّا ، وكنت أتمنَّى أن أقود جيشكم ضدَّها ، وأن أحظى بشرف الاشتراك فى معركة التحرير ، ولكن هناك عدَّة عقبات تحُول دون ذلك .

هتف ملك (أدريكا) :

ـــ لا توجد أيَّة عقبات .. ثِق أننا سنعيدك إلى كوكبك ، فور انتهاء حرب التحرير ، أو الآن لو أردت .. فكما قلت لك ، من المستحيل إجبارك على قبول المهمَّة .

ابتسم (نور) ابتسامة باهتة ، وهو يقول :

ـــ ليس هذا ما أقصده يا سيِّدى ، فهناك من الدِّلالات ما يجعلنى أثق فى حسن نواياكم ، ولكن العقبات التى أقصدها ثلاث ، وهى أوَّلًا : اللغة ، لأنه من المرهق أن يتحدَّث المرء طوال الوقت بذلك الحديث العقلى .. وثانيًا : القوة ، فكما لاحظت على كوكبى ، أنكم تفوقوننا قوةً بكثير ..

وثالثًا : التاريخ ، فأنا أجهل تمامًا تاريخ كوكبكم ، وتاريخ (السوريت) ، ومن المستحيل أن أحارب قومًا أفتقر إلى معرفة لغتهم ، وقوتهم ، وتاريخهم .

ابتسم ملك (أدريكا) فى ثقة ، وهو يقول :

ــ هذه الأشياء الثلاثة لا تمثّل أيّة عقبات .

ثم اعتدل ، مستطردًا فى جدّية :

ــ إننا سنمنحك كل هذا خلال ساعة واحدة ، فلدينا هنا كل التكنولوچيا اللازمة .

وبإشارة من يده ، تقدّم إليه (جوشا) ، قائد فرسان البلاط ، فقال له فى هدوء حازم :

ــ أعدّ قائدكم الجديد يا (جوشا) .

ثم رفع بصره إلى أعلى ، مستطردًا :

ــ لقد بدأت حرب التحرير .

* * *

استلقى (نور) فى شبه غيبوبة ، داخل ذلك الجهاز الأسطوانى الشفاف ، الذى راح يلقى عليه مزيجًا متعاقبًا من الأضواء الصفراء والزرقاء والحمراء ، على حين امتدت منه عدة أسلاك دقيقة ، اتصلت بجبهة (نور) ، وأطرافه ..

وخارج الجهاز ، وقف (جوشا) يراقب مايحدث فى هدوء ، فاقترب منه أحد فرسان البلاط ، وسأله فى اهتمام :

ــ كم بقى لديه من وقت ياسيّدى ؟

أجابه (جوشا) فى هدوء :

ــ لقد أصبح الآن على دراية كاملة بتاريخنا ولغات كوكبنا ، ولكنه يحتاج إلى عشر دقائق أخرى ، ليحُوز قوة تفوق حتى قوتنا ، وهذه هى أخطر مراحل العملية كلها .

سأله الفارس فى اهتمام :

ــ ولماذا هى أخطر المراحل ؟

أجابه (جوشا) :

ــ لأنه لو توقّف عمل الجهاز الآن ، وقبل انتهاء مدته تمامًا ــ لأى سبب كان ــ فستفقد خلايا القائد الأرضىّ تماسكها وترابطها ، فينهار جسده ، و .....

صمت لحظة ، وكأنما يثقل عليه أن ينطق الكلمة ، قبل أن يُردِف :

ــ ويموت .

تراجع الفارس ، مغمغمًا :

ــ ياللخالق !!

وفجأة .. قفز أحد الفرسان داخل المكان ، وصاح فى توتُّر بالغ :

ــ لقد كشف (السوريت) مخبأنا .. إنهم يقتحمون المكان بكل قواهم .

اتسعت عينا (جوشا) فى ذُعْر ، وأدار عينيه إلى الجهاز الأسطوانىّ ، حيث يرقد (نور) ، وهتف :

ــ يا للخالق !.. لابدَّ من منعهم من الوصول إلى هنا بأيَّة وسيلة ، فحياة القائد الأرضىّ تتوقَّف على .....

قبل أن يتمّ عبارته ، اقتحم جنود (السوريت) المكان ، واندفع بعضهم نحو الجهاز الأسطوانىّ ، وهم يطلقون صرخات قتالية مخيفة ..

* * *

٣ ــ المقــاومة ..

هدف واحد ملأ عقل (جوشا) فى تلك اللحظة ..

هدف قرَّر أن يحقِّقه ، أو يهلك دونه ..

لابدَّ من إنقاذ (نور) ..

لابدَّ من إنقاذ رمز النصر والحرِّيَّة ، مهما كان الثمن ..

وكالأسد الهَصُور قاتل (جوشا) ..

قاتل على نحو فجَّر الرُّعب فى قلوب (السوريت) ، وجعلهم يتراجعون ، كما لو كانوا يواجهون جيشًا جرَّارًا ..

وانتقلت الفكرة إلى كل فرسان البلاط . فقاتل الجميع فى قوة وشراسة وانتحارية ..

وسقط كل فرسان البلاط الأدريكى تقريبًا ..

وسقط الملك .. ملك (أدريكا) ..

لم يعُد باقيًا فى حَوْمَة الوَغَى سوى (جوشا) و (نور) ..

ثم أصدر الجهاز الأسطوانى الشَّفَّاف أزيزًا متصلًا ، أدرك منه (جوشا) أن عملية التقوية قد انتهت ، فصرخ وهو يتراجع أمام جحافل (السوريت) :

ــ الحُرِّيَّة والمجد لـ (أدريكا) ..

وبقفزة رائعة ، التقط (السّيف البلّورى) ، واحتضن جسد (نور) داخل الجهاز ، وضغط زِرّ حزامه ، وتراجع (السوريت) حينما رأوه يتألّق مع (نور) ، قبل أن يتحوّل الاثنان إلى حزمة ضوئية بيضاء ، يتوسّطها خيط من ضوء أخضر ، اندفعت فجأة وسط الجموع ، وتلاشت بعيدًا فى الأفق ..

لقد نجا (نور) ..

نجا قائد جيش التحرير ..

* * *

كانت شمس (جودان) تميل إلى الغروب ، عندما انحنى وزير حرب (السوريت) أمام مليكه ، ثم اعتدل منتصب القامة ، والملك يسأله فى لهفة :

ـ هل انتصرنا ؟

أجابه الوزير فى صوت قوىّ :

ـ لقد توصّلنا إلى مخبإ ملك (أدريكا) يا مولاى ، وقتلناه مع كل فرسانه .

تهلّلت أسارير ملك (السوريت) ، وهو يهتف :

ـ رائع .. فليُبَثّ ذلك الخبر عبْر كل وسائل الاتصال ، و .....

بتر عبارته بغتة ، وكأنّما تذكّر شيئًا ما ، وانحنى نحو وزيره ، يسأله فى اهتمام :

ـ وماذا عن (السّيف البلّورىّ) ، وذلك المنقذ الأسطورىّ .

بدا الضّيق فى وجه الوزير ، وهو يقول :

ـ لم ينج من الهجوم سوى قائد فرسان البلاط الأدريكى ، وذلك المنقذ الأسطورىّ ، و ... والسّيف !!

امتقع وجه ملك (السوريت) فى شدّة ، ثم لم يلبث أن احتقن غضبًا ، وهو يهتف :

ـ أيُّها الحمقى .

وهبّ من عرشه ، ولوّح بقبضته فى وجه وزيره ، هاتفًا :

ـ أى نصر هذا ؟.. بل أى عار ؟

غمغم الوزير فى ضيق وتوتُّر :

ـ لقد انتصرنا بالفعل يا مولاى ، ألم نقتل ملك (أدريكا) ؟ و .....

قاطعه الملك فى ثورة :

— فليذهب كل ذلك إلى شياطين نجمنا الأعظم .. المهم هو السيف والمنقذ .

عقد الوزير حاجبيه ، وهو يقول فى صرامة :

— لن يُفلِتا منّا أبدا يامولاى .

مال الملك نحوه ، وهو يقول فى حزم مخيف :

— من الضرورىّ ألّا يفلتا أيها الوزير ، وإلّا أفلتت حياتك خلفهما .

واعتدل مع عودة ثورته ، وهو يستطرد صارخًا :

— أريدهما بأى ثمن ..

* * *

تلاشت حالة شبه الغيبوبة من عقل (نور) تدريجيًا ، وفارق الشرود نظراته فى بطء ، فعاوده إحساسه بما حوله ، وإن بدت له أطرافه ثقيلة ، يعجز عن تحريكها .. فاكتفى بالاسترخاء فى ذلك المقعد الوثير ، الذى يجلس فيه ، وبالتطلّع إلى الحجرة الصغيرة ، التى يجلس فى طرفها ..

كانت حجرة مربّعة ، صغيرة ، عارية من الأثاث تمامًا ، فيما عدا ذلك المقعد الذى يجلس فوقه ، ولم يكن هناك أى مخلوق داخلها ، ولا توجد أيّة مداخل ، باستثناء باب كبير فى مواجهته .

ثم تحرّك ذلك الباب فى بطء ، وانفتح ، ودلف منه (جوشا) ، الذى اقترب منه وانحنى يتأمّل عينيه فى اهتمام ، قبل أن يقول فى لهجة تحمل الكثير من الاحترام والتوقير :

— هل استيقظت أيها القائد ؟

كانت الكلمات تخرج — هذه المرّة — من بين شفتيه ، وتذهب إلى أذنى (نور) مباشرة ، ولقد فهم (نور) كل كلمة ، على الرغم من أن (جوشا) قد نطق العبارة كلها باللغة الأدريكية ، ولقد بذل (نور) جهدًا ليعتدل ، وهو يقول :

— أين نحن ؟.. ما الذى حدث للآخرين ؟

أجاب (جوشا) فى لهجة تحمل رنّتى الحزن والأسف :

— لم يعُد هناك سوانا .

سأله (نور) فى حَيْرة :

— وماذا عن الباقين ؟

غمغم (جوشا) فى لهجة تُوحى بأنه يكره الاستمرار فى هذا الحديث :

— كلهم ماتوا .

ثم تناول من جوار (نور) ذلك (السيف البلّورىّ) ، ورفعه على راحتيه فى مهابة شديدة ، وناوله إلى (نور) ، وهو يقول فى احترام بالغ :

ـ سيفك أيها القائد .
شعر (نور) وهو يتناول السَّيف ، أنه يبذل جهدًا كبيرًا ، مما حدا به إلى أن يقول :
ـ أمِنَ الضروريّ أن أحمله الآن ؟.. إنني أشعر بإجهاد شديد .
أجابه (جوشا) في احترام :
ـ من الضروريّ أن يحمل القائد سيفه ، حينما يستقبل جنوده .
غمغم (نور) في حَيْرة :
ـ جنوده ؟!
أجابه (جوشا) :
ـ نعم ياسيِّدى .. لقد بلغ الخبر كل زعماء المقاومة ، فجاءوا لتقديم فروض الطاعة والولاء .
أيقظت العبارة (نور) ، وأعادت إليه بعض حيويته ونشاطه ، وهو يغمغم :
ـ زعماء المقاومة ؟!
ثم لم يلبث أن ابتسم ، وهو يستطرد :
ـ يبدو أن حروب التحرير تتشابه دَوْمًا ، في كل العصور ، وكل الكواكب .


ثم تناول من جوار (نور) ذلك (السَّيف البلُّورى) ، ورفعه على راحتيه في مهابة شديدة ، وناوله إلى (نور) ..

واعتدل فى حزم ، وهو يقول ، وقد تقمّص دوره الجديد تمامًا :

ــ دَعْهُم يدخلون .

ماهى إلّا لحظات ، حتى كان زعماء المقاومة الأدريكية الخمسة داخل الحجرة ، يقفون أمام (نور) فى خشوع واحترام ، وإن لم يخف هذا تلك الدهشة الواضحة فى وجوههم ، واختلاسهم النظر إلى بشرته ولونه ، اللذين بدوَا لهما من أعجب الظواهر فى تاريخ كوكبهم

ولقد تضاعفت دهشتهم ، حينما تحدّث إليهم (نور) بلغتهم ، قائلًا :

ــ أظن أن الوقت قد حان ؛ لاستعادة (أدريكا) أيها السادة .

غمغموا بعبارات التأييد ، ثم قال أحدهم :

ــ هذا صحيح أيها القائد ، ولكن كيف ؟.. صحيح أن ظهورك قد أنعش الحماسة فى القلوب ، وفجّر الرغبة فى الثورة فى النفوس ، ولكن هذا لا يغنى ، ولا يكفى لأن ننتصر .

سأله (نور) فى اهتمام :

ــ لماذا ؟

أجابه الأدريكى بلا تردّد :

ــ أوّلًا : لأننا لا نملك الأسلحة الكافية ، وثانيًا : بسبب طاقة (الزاتون) الرهيبة ، التى هدّد (السوريت) باستخدامها ، إذا ما ثارت (أدريكا) ، أو حاولت استعادة وطنها ..

عقد (نور) حاجبيه فى حيْرة ، وهو يلتفت إلى (جوشا) ، قائلًا :

ــ ما قصّة طاقة (الزاتون) هذه .. إنها لم ترد فى تاريخكم .

غمغم (جوشا) :

ــ ربّما لأنها حديثة للغاية .

ثم اعتدل ، مستطردًا :

ــ إن طاقة (الزاتون) هى قنبلة رهيبة ، يمكنها لو انفجرت أن تنسف (أدريكا) كلها ، وتبيد شعبها ، من أقصاها إلى أقصاها ، وهى من أفظع أسلحة الكوْن .. ولقد تم صنع قنبلة واحدة فقط منها حتى الآن ، نظرًا لما يحتاج إليه تصنيعها من مواد شديدة الندرة ، ووقت طويل للغاية .. وهذه القنبلة الوحيدة وضعها (السوريت) فى قلب (أدريكا) ، على عمق خمسة عشر مترًا ، داخل حصن إليكترونى خاصّ .. وهدّدوا

باستخدامها لمحو القارَّة كلها من الوجود ، لو حاول شعبنا استعادة حريته ووطنه .

سأله (نور) فى اهتمام :

ــ وكم من (السوريت) يقومون على حراسة تلك القنبلة الرهيبة ؟

تنهَّد (جوشا) ، وأجاب :

ــ ولا حارس واحد ..

وقبل أن ترتسم الدهشة كاملة على وجه (نور) ، أسرع (جوشا) يضيف :

ــ وعلى الرغم من ذلك ، فمن المستحيل أن يصل إليها أى كائن من كان ، إذ عليه قبل أن يبلغها ، أن يجتاز أربعة أبواب ، يقود كل منها إلى خطر داهم ، وموت هائل .

عاد (نور) يسأله فى اهتمام بالغ :

ــ وما طبيعة الخطر أو الموت ؟

هزَّ (جوشا) كتفيه ، وقال :

ــ لا أحد يعلم .. لقد حاول عشرة من فرساننا التوصُّل إلى القنبلة ، وإبطال مفعولها ، ولكن أحدًا منهم لم يعُد ليخبرنا بما وجده هناك .

ران الصمت لحظات ، وعيون الجميع تنتقل فيما بين وجه (نور) ، وسيفه البلّورىّ ، وهو يفكِّرُ فى عمق ، قبل أن يقول :

ــ إذن فقنبلة (الزاتون) هى أكبر عائق يعترض طريق الحرِّيَّة .

أجابه أحد زعماء المقاومة :

ــ نعم .. هى كذلك .

عاد (نور) إلى صمته لحظة أخرى ، ثم التفت إلى (جوشا) ، قائلًا :

أظن أنه ما من مفرّ ..

واعتدل مستطردًا فى حزم :

ــ سأقتحم أبواب الموت ..

* * *



٤ ـــ حصن الجحيم ..

كان رد الفعل لعبارة (نور) عجيبًا . فلقد تجمَّد الجميع . وهم يحدقون فى وجهه ، كما لو كان معتوهًا أو مجنونًا . على حين غمغم (جوشا) مبتسمًا :

ـــ أحسنت القول أيها القائد .

اندفع أحد زعماء المقاومة يقول فى حدّة :

ـــ أتدرك كمّ المخاطرة أيها القائد ؟.. إن أحدًا لم يعد من هناك أبدًا ، ولا شك فى أن الأمر أخطر ممّا تصوّر بكثير ، وإلّا فما ترك (السوريت) حصن الطاقة الرهيبة هكذا ، بلا حراسة .

أجابه (نور) فى هدوء :

ـــ لابدّ أن نحاول على الأقل .

ثم اعتدل ، مستطردًا فى حزم :

ـــ تقولون إننا نفتقر إلى الأسلحة الكافية ؛ لذا من الضرورىّ أن نتخذ من المفاجأة والمباغتة سلاحًا يعوّضنا عن ذلك الافتقار ، ومن التنظيم والدقة الشديدين سلاحًا آخر يضمن لنا توجيه ضربة قويّة لعدوّنا ، وإرباكه على كل

الجبهات ؛ لذا سنضع خطّة مُحْكَمة تقوم على إشعال نيران الثورة والحرب فجأة ، وفى توقيت محدَّد بدقة بالغة ، على قوات العَدُوّ ، فى طول البلاد وعرضها ، ومن أقصاها إلى أقصاها ، على أن يبدأ هذا الهجوم ، فور نجاحنا فى تدمير وإبطال مفعول قنبلة (الزاتون) ، أو لا يبدأ أبدًا فى حالة حدوث العكس .

رَانَ صمت رهيب على المكان ، قبل أن يقطعه أحد زعماء المقاومة بقوله :

ـــ وكيف سنعلم بأمر النجاح أو الفشل ؟

أجابه (نور) :

ـــ سأحمل معى جهاز إرسال صغير ، وإذا ما نجحت فى إبطال مفعول القنبلة ، سأرسل عَبْرَه كلمة شفرية واحدة ، وعليكم ببدء الخطّة فور سماعها .

التفت إليه (جوشا) ، وقال فى اعتزاز :

ـــ هل سيمنحنى القائد شرف مرافقته إلى حصن الجحيم ؟

ابتسم (نور) ، قائلًا :

ـــ بالتأكيد .

أسرع أحد الزعماء يسأله :

— وماذا عن تلك الكلمة الشفرية ؟.. ما هى بالضبط ؟

اعتدل (نور) ، وهو يقول فى حزم :

— إنها كلمة واحدة من ثلاثة حروف ، أعتبرها مرادفًا للنصر ..

وتصاعدت رنّة فخر واعتزاز مع صوته ، وهو يستطرد :

— (مصر) ..

* * *

انصرف زعماء المقاومة قبل منتصف الليل بدقائق ، وبقى (نور) وحده مع (جوشا) ، ولاذ الأوّل بالصمت طويلًا ، وهو يفكّر فى عمق ، واحترم الثانى صمته ، فوقف إلى جواره صامتًا بدَوْرِه ، منتصب القامة ، كفارس فى حضرة قائده ، حتى سأله (نور) فى هدوء :

— ما معلوماتك عن ذلك الحصن يا (جوشا) ؟

أجابه (جوشا) :

— كل معلوماتى تنحصر فيما خارجه أيها القائد ، حيث لم ينجح مخلوق واحد فى الدخول إليه ، والخروج حيًّا .

ابتسم (نور) ابتسامة باهتة ، وهو يقول :

— أيَعْنِى هذا أن الدخول إليه سهل ؟

هزّ (جوشا) كتفيه ، وهو يقول :

— ليس تمامًا ، ولكنه أكثر سهولة من الخروج منه بالتأكيد .

ثم أخذ يرسم خطوطًا وهمية بسبّابته فى الهواء ، وهو يستطرد :

— إن مدخله عبارة عن قُبّة معدنية مُصْمَطَة ، تحوى عدة آلات تصوير ، تعمل كلها عندما تلتقط أجهزة البحث الحرارىّ حرارة أى جسم بشرىّ.. والمدخل الوحيد لتلك القُبّة هو فجوة فى حجم رجل واحد ، يحيط بها سياج كهربىّ شديد .

سأله (نور) فى اهتمام :

— وماذا بعد ؟

أجابه فى أسف :

— هذا كل شىء ، وكل ما نعلمه — بالإضافة إلى ذلك — هو أنه توجد داخل حصن الجحيم هذا أربعة أبواب للموت ، أما الباب الخامس ، فيقود إلى قنبلة (الزاتون) .

سأله (نور) :

— قُلْ لى يا (جوشا) ، ألا يمكن استخدام أسلوب السفر

الفضائىَ الضوئىَ ، للدخول إلى القبة ، والوصول إلى القنبلة ، دون المرور بأبواب الموت الأربعة ؟

هزَّ (جوشا) رأسه نفيًا ، وقال :

ـ كلَّا ؛ لأن (السوريت) قد احتاطوا لذلك ، فبطَّنوا كل جدران الحصن من الداخل بمرايا عاكسة ، تكفى لتشتيت الضوء ، وبعثرة أجسادنا إلى الأبد .

عاد (نور) إلى صمته فترة أخرى ، ولاذ (جوشا) بالصمت احترامًا ، حتى زفر (نور) من أعمق أعماقه ، ونهض يمسك مقبض (السّيف البلّورىّ) ، ويرفعه إلى وجهه ، قائلًا :

ـ يبدو أنه لا مفرّ من المخاطرة .

ولم يكد يرفع السيف عاليًا ، حتى عاد يتألّق بذلك الضوء الأخضر الهادئ ، وكأنما يكتسب من حماسة (نور) ، وهو يستطرد فى حزم :

ـ سنقتحم حصن الجحيم ..

* * *

٥ ـ النِّيران ..

سقط أول شعاع من أشعة شمس (جوردان) ، مع إشراقها فى الصباح التالى ، على قُبّة حصن الجحيم ، فالتمعت بوهج جهنّمىّ ، وتألّقت عنوانًا للطغيان والاستعمار ..

وعلى بعد مائتى متر منها ، وخلف مرتفع صخرىّ صغير ، غمغم (نور) :

ـ من الضرورىّ أن نصل إلى مدخل ذلك الحصن اللّعين ، دون أن تلتقط آلات التصوير صورنا .

سأله (جوشا) فى اهتمام :

ـ ألا تريد أن يعلم (السوريت) بهجومك على حصنهم ؟

ابتسم (نور) ، وهو يقول :

ـ إنهم لن يعلموا أبدًا ، حتى ولو التقطت آلات التصوير صورنا .

هتف (جوشا) فى دهشة :

ـ كيف ؟

أجابه (نور) فى هدوء :

ـ راجع معى الحقائق ، وستجد أن هذا منطقىّ .. إن

(السوريت) لا يضعون أيّة حراسة على حصنهم ، ولقد نجح عشرة فرسان فى دخوله من قبل ، وهذا يَعْنى أن أحدًا لا يهتمّ بالدخول إلى الحصن ، فلماذا وُضِعَتْ تلك الآلات التصويرية الحرارية إذن ؟.. إنها لتشغيل دفاعات الحصن نفسه ، وهذا يعْنى أن تجاوزنا لها قد يؤخر أو يلغى ما سنواجهه من مخاطر داخل الحصن .

غمغم (جوشا) فى دهشة :

ــ إن أحدًا لم يذهب إلى ما ذهبت إليه ، فى هذا الشأن ، ولكن الاستنتاج يبدو لى منطقيًّا .

أشعل (نور) كتلة قماشية ، وهو يقول مبتسمًا :

ــ ولابدَّ لنا من تجربته .

ثم ألقى الكتلة الملتهبة على مقربة من الحصن ، وعلى الفور ، اتجهت عدسات آلات التصوير كلها إليه ، فهتف بـ (جوشا) :

ــ لقد صدق حدسى .. إنها تتجه دومًا نحو المصدر الأعلى للحرارة .. هيَّا بنا .. لابدَّ أن نبلغ الفجوة ، قبل أن تنطفئ النيران .

اندفعا من مكمنهما بأقصى سرعة ، ورَكضا نحو فجوة الدخول إلى الحصن ، ونجحا فى بلوغها ، قبل أن تتحوَّل إليهما عدسات التصوير الحرارى ، فهتف (نور) :

ــ هيَّا .. فلندخل بسرعة .

قفز (جوشا) عَبْرَ الفجوة ، وهو يقول :

ــ أظنها أوَّل مرَّة يتعجَّل فيها اثنان دخول الجحيم .

قفز (نور) خلفه ، وهبط على قدميه إلى جواره ، داخل قاعة هائلة ، تغطَّت جدرانها كلها بالمرايا ، فيما عدا بابًا معدنيًّا كبيرًا ، وبدت القاعة العارية مخيفة ، وجدرانها تعكس صورتى (نور) و (جوشا) إلى ما لانهاية ، فغمغم (جوشا) مازحًا ، محاولًا التخفيف من توتُّر الموقف :

ــ كم كنت سأشعر بالارتياح ، لو أننا نملك قادة وفرسانًا بعدد الصور المنعكسة ؟

غمغم (نور) :

ــ وكل هذه الأسلحة .

التفت إليه (جوشا) ، وهو يقول :

ــ قد يمكن تكرار ذلك القضيب الإشعاعى الذى أحمله ، ولكن لا يوجد فى الكون كله سوى سيف بلَّورىّ واحد .



اندفعا من مكمنهما بأقصى سرعة ، وركضا نحو فجوة الدخول إلى الحصن ، ونجحا فى بلوغها ..

عقد (نور) حاجبيه ، وهو يقول فى حزم :

ـــ لا تنسج مزيدًا من الأساطير حول السَّيف يا (جوشا) .. إنه مجرَّد سيف بلَّورىّ ، سيتهشّم تمامًا ، إذا ما هوَيت به فى قوة على سطح صلب .

ابتسم (جوشا) ، وهو يقول :

ـــ أنت لا تدرك قوة السلاح الذى تحمله إذن أيها القائد .. إن ما تقوله ينطبق على (السَّيف البلَّورى) ، حينما تحيط بمقبضه أصابع شخص عادىّ ، أما بين أصابعك أنت ، فهو سلاح رهيب ، و .....

قاطعه (نور) .

ـــ حسنًا يا (جوشا) .. سأتظاهر بأننى أصدِّق ذلك .

ثم أشار إلى الباب ، مستطردًا فى حزم :

ـــ بعد أن نعبُر أوَّل (أبواب الموت) .

اعتدل الاثنان فى حماس ، وسرت فى جسديهما قُشَعْرِيرَة باردة سريعة ، لم تلبث أن تلاشت ، وهما يتجهان نحو الباب ، ثم دفعه (نور) ..

وعبر الاثنان أوَّل (أبواب الموت) .. إلى المجهول ..

* * *

اندفع وزير الحرب السوريتى فى انفعال واضح ، يعبر البلاط الملكى ، نحو ملك (السوريت) وغلبه الحماس حتى أنه نسى أن ينحنى لمليكه ، وهو يهتف :

ـــ مولاى .. لقد عرفنا أين (السَّيف البلّورىّ) ، والمغمد الأسطورى .

هبَّ ملك (السوريت) من عرشه ، وقد انتقل إليه الحماس ذاته ، وهتف :

ـــ أين ياوزيرى ؟.. أين ؟

هتف الوزير ، من فرط انفعاله ، وهو يقول :

ـــ داخل حصن (الزاتون) يامولاى .

تجمَّدت ابتسامة الملك على شفتيه ، وتراجع على عرشه ، كمن أصابته صاعقة ، وهو يغمغم :

ـــ فى حصن (الزاتون) ؟!

تسمَّر فوق عرشه لحظات فى ارتياع ، ثم عاد يهبّ صارخًا :

ـــ ألم أقُل لك أيها الوزير ؟.. ألم أحذِّرك ؟.. ما كان ينبغى لنا أبدًا أن نترك الحصن بلا حراسة .

ابتسم الوزير ، وهو يقول فى هدوء الواثق :

ـــ الحصن يحوى ما هو أخطر من الحراسة يامولاى ،

فالموت ينتظر مقتحمه خلف كل باب من أبوابه الأربعة .

غمغم الملك فى هلع وشك :

ـــ ولكنه يملك (السَّيف البلّورىّ) .

اتسعت ابتسامة الوزير ، وهو يقول :

ـــ لن يفيده ذلك كثيرًا ، فى مواجهة الموت .

مطَّ ملك (السوريت) شفتيه ، وهو يقول :

ـــ أتعشَّم ذلك .

برقت عينا الوزير ، وهو يضيف :

ـــ لدىّ المزيد يامولاى .

رمقه الملك بنظرة صارمة ، وهو يقول :

ـــ هاتِ مالديك .

زاد الوزير من انتصاب قامته ، وقال ملقيًا قنبلته :

ـــ ستندلع ثورة أدريكية يا مولاى .

قفز الملك من مقعده ، كمن لدغه عقرب سام ، وهتف فى هلع :

ـــ ثورة ؟!.. أتخبرنى بذلك بكل بساطة ؟

أجابه الوزير ، وهو يبتسم فى هدوء :

ــ فليطمئن مولاى .. إن لدىّ كل التفصيلات اللازمة ؛ لخنق تلك الثورة فى مهدها .

واتسعت ابتسامته ، حتى كادت تلتهم وجهه كله ، وهو يستطرد :

ــ أنسيت يا مولاى أن أحد زعماء المقاومة الخمسة سوريتى الأصل ؟..

* * *

كان الباب الأوّل يقود إلى قاعة مظلمة تمامًا ، أثارت الرَّهبة والتوتُّر فى نفسى (نور) و (جوشا) ، فتقدَّما بضع خطوات فى حذر ، ثم توقَّفا ، وغمغم (جوشا) :

ــ أظن أنه من الأفضل أن نحصل على بعض الضوء .

ودون أن ينتظر جواب (نور) ، أخرج من حزامه قرصًا رفيعًا ، ضغط سطحيه فى رفق ، بسبّابته وإبهامه ، ثم تركه فى الهواء ، فتعلَّق القرص فى فراغ الحجرة ، كما لو أنه لا تأثير للجاذبية عليه مطلقًا ، وراح يشعّ فى البداية بضوء هادئ ، راح يزداد شدة تدريجيًا ، ويملأ القاعة ..

وفجأة .. شهق (جوشا) ، وهو يتراجع فى حركة حادَّة ، هاتفًا :

ــ ياللخالق !!

استدار (نور) إلى حيث يتطلّع (جوشا) ، ووجد نفسه يتراجع شاهقا بدوْره ، فهناك ، فى رُكن القاعة ، كانت ترقد ثلاث جثث مشوّهة محترقة على نحو رهيب .

جثث لفرسان من البلاط الأدريكى ..

ومضت لحظات ساكنة ، تطلّع خلالها (نور) و (جوشا) إلى ذلك المشهد فى امتعاض ومرارة ، ثم اتجه (نور) نحو الجثث الثلاث ، وانحنى يفحصها فى حذر ، ثم لم يلبث أن اعتدل ، وهو يقول فى ألم :

ــ يا إلٰهى !!.. إنها محترقة عن آخرها ، كما لو أنها قد اصْطلَت نار الجحيم ذاته .

تلفّت (جوشا) حوله فى حذر ، وهو يغمغم :

ــ ولكن كيف ؟.. ومن أين أتت النيران ؟

دار (نور) ببصره فى المكان ، وغمغم بدوْره :

ــ هناك فتحات ضخمة على جانبى القاعة ، وربّما كانت تُطلق اللهب .

رانَ عليهما سكون مخيف ، وهما يديران بصريهما فى القاعة ، قبل أن يردف (نور) :

— كلا .. لست أظن الأمر كذلك . فلو صممت هذه القاعة لتتحول إلى فرن ضخم ، لكان الفرسان العشرة كلهم قد لقوا حتفهم هنا .. ولكن وجود ثلاث جثث فحسب يعنى أن السبعة الباقين قد تمكنوا من تجاوز تلك العقبة ، و .....

قبل أن يتمّ عبارته ، اندفع فجأة لسان من اللهب ، عبْر فجوة ضخمة على جانب القاعة ، فقفز (جوشا) جانبًا ، وهو يهتف :

— تراجع أيها القائد .

تراجع (نور) فى حِدّة ، وجذب سيفه البلّورىّ من غمده بحركة غريزية ، والتصق بالجدار ، وتعلّق بصره وبصر (جوشا) بتلك الفجوة ، التى انطلق منها لسان آخر من اللّهب ، مصحوب بفحيح قوىّ هذه المرّة ، زاد من التصاقهما بالحائط ..

وفجأة .. ظهرت آلة الموت الأولى ..

آلة حيّة ..

آلة فجّرت دهشة عارمة فى أعماق (نور) ، الذى لم يكن يتصوّر وجود هذا الشيء ، خارج عالم الخيال والأساطير ..

وكان هذا الشيء تنّينًا ناريًّا ..

تنّينًا هائلًا ..

* * *

٦ — مواجهة الموت ..

توقّف التّنين الهائل خارج الفجوة الضخمة ، وبدا مرعبًا بجسده الثعبانى ذِى النتوءات الضخمة ، ورأسه الشبيه برأس حية مخيفة ، وفمه الواسع ، ذِى الأنياب الضخمة ، وحلقه الذى ينفث ألسنة النار ، وراح يحدّق فى فريسته بعينيه الحمراوين بلون الدم ، فانتزع (جوشا) القضيب الشفّاف ، وصوّبه إلى رأس التّنين ، وهو يغمغم فى خفوت :

— حاول ألا تأتى أيّة حركة أيها القائد وإلّا .....

قبل أن يتمّ عبارته ، أطلق أشعته الزرقاء بغتة ، بين عينى التّنين تمامًا ، ولكن الأشعة القاتلة ارتطمت بجبهة الوحش الخرافى ، وانعكست فى قوة ، وأصابت جزءًا من حائط القاعة ، فأحدثت به فجوة كبيرة ، مع دوىّ هائل ، على حين فتح التّنين فكّيه ، وأطلق فحيحًا رهيبًا ، جعل (نور) يهتف :

— ابتعد يا (جوشا) .

قفز كل منهما إلى جانب ، فى نفس اللحظة التى اندفعت فيها ألسنة اللّهب من حلق التّنين ، وأصابت الموضع الذى كانا يحتلّانه منذ لحظة واحدة ، وارتفعت حرارة القاعة إلى حدّ

رهيب ، كما لو أنها تسبح فوق محيط من الحمم ، وتصبّب عرق غزير على وجهى (نور) و (جوشا) ، على حين أدار التنّين عينيه إلى الجانبين ، وكأنما ينتقى فريسته الأولى من بين خصميه ، اللذين افترقا على جانبيه ..

ثم وقع اختيار التنّين على (جوشا) ..

ومرّة أخرى نفث ألسنة اللهب ، التى كادت تلتهم الفارس الأدريكى ، لولا أن قفز إلى الركن فى اللحظة الأخيرة ..

وهنا تقدّم التنّين فى ظفر ..

لقد سجن ضحيته فى الركن ، ولم يعُد هناك أمامها من مفرّ ..

وأدرك (جوشا) أيضًا ذلك ..

أدرك أنها نهايته ، وسط نيران باب الموت الأوّل ..

* * *

كان من المستحيل أن يقف (نور) ساكنا ، أمام ذلك المشهد ..

كان من المستحيل أن يتخلّى عن فارس أنقذ حياته من قبل ..

لذا فقد استلّ (نور) سيفه البلّورىّ ، وقفز نحو التنّين النارىّ ، وهو يُطلق صرخة قتالية قوية ، ارتجّت لها جدران القاعة ..



قفز كل منهما إلى جانب ، فى نفس اللحظة التى اندفعت فيها ألسنة اللّهب من حلق التّنّين ..

وفجأة .. ومضَ (السّيف البلّوريّ) بذلك البريق الأخضر ..

ومضَ به فى شدة ، حتى أنه قد غمر القاعة كلها بذلك الضوء الأخضر ، الذى تلاشى إلى جواره ذلك الضوء المنبعث من قرص (جوشا) ..

لقد كان السّيف يستمد قوته بالفعل من حماسة (نور) ..

ولقد توقّف التّنين النارىّ عن مهاجمة (جوشا) ، والتفت إلى (نور) ، وهو يُطلق زمجرة رهيبة ، وبدا وكأنه سينفث لهيبه كله فى وجه بطلنا ، الذى أطلق صرخة قتالية أخرى ، قبل أن يقفز جانبًا ، ويندفع نحو التّنين فى جسارة ، فيقفز معتليًا ظهره ، ويَعْدُو فوق عنقه ، حتى يصل إلى رأسه الضخم ..

ودار التّنين حول نفسه فى غضب ، محاولًا إلقاء خصمه الصغير عن ظهره ، ولكن (جوشا) أسرع ينضمّ إلى القتال ، وهو يطلق أشعته الزرقاء على عين التّنين ، الذى صرخ فى ألم وقوة ، وراح ينفث النيران فى كل الاتجاهات فى هياج ..

وهنا أمسك (نور) مقبض السّيف بكلتا قبضتيه ، ورفعه إلى أعلى ، ونصله إلى أسفل ، وتوهّج السَّيف بضوء مُبهر ، جعله يبدو أشبه بشمس خضراء ساطعة ، قبل أن يهوى به

(نور) ، بكل ما يملك من قوة ، على منتصف جبهة التّنين تمامًا ..

ولقد أطلق التّنين صرخة واحدة ، كادت تهتك طبلتى أُذن (نور) ، قبل أن يهوى جثة هامدة ، ويسقط (نور) من فوقه ..

لقد كان من العجيب حقًّا أن يخترق سيف بلّورى جمجمة سميكة صلبة ، كجمجمة تنّين نارىّ هائل كهذا ..

ولكن السّيف قد فعل ..

وتدريجيًا ، خبا بريق (السّيف البلّوريّ) ، وعاد إلى شفافيته ، ولم يعُد هناك ما يضىء القاعة سوى ذلك القرص المعلّق بالهواء ، والذى بدأ ضوءه يخبو تدريجيًا ..

وران صمت رهيب على القاعة ، إلّا من صوت لهاث (نور) و (جوشا) ، قبل أن يغمغم الأوّل :

ـ يا إلهى !!.. إذا كان هذا ما واجهناه خلف الباب الأوّل ، فما الذى ينتظرنا يا تُرى خلف الأبواب الأخرى ؟

تمتم (جوشا) :

ـ ما هو أشدُّ هولًا .

عادا إلى صمتهما لحظات ، وبدأت أنفاسهما تنتظم ،

فأشار (نور) إلى جثة التنين النارى ، وهو يغمغم :

ـ كنت أظن أنه لا وجود لهذا الشيء ، سوى فى عالم الأساطير .

أجابه (جوشا) ، وهو يستند بمؤخرة رأسه إلى حائط القاعة :

ـ ربما كان ذلك صحيحًا فى عالمك ، ولكن (البيتراكتول) أحد وحوش عالمنا .

وتنهد ، قبل أن يضيف فى لهجة تشف عن الحيرة :

ـ المنقرضة .

التفت إليه (نور) يسأله فى دهشة :

ـ ماذا تعنى ؟

أشار (جوشا) إلى التنين ، قائلًا :

ـ من المفروض أن هذا الشيء قد انقرض من عالمنا ، منذ ما يقرب من ألفى عام ، ولست أدرى كيف نجده حيًا الآن ، على عكس ما تؤكد كتب العلوم .

ارتسمت على شفتى (نور) ابتسامة مبتسرة ، وهو يقول :

ـ يبدو أن هؤلاء (السوريت) يجيدون إخفاء كل كشوفهم العلمية .

أومأ (جوشا) برأسه إيجابًا ، وقال :

ـ هذا صحيح .

تنهد (نور) فى عمق ، ثم نهض ، ودسَّ سيفه البلورى فى غمده ، وهو يقول :

ـ والآن يا صديقى .. ما رأيك فى العبور عبْر الباب الثانى للجحيم .

نهض (جوشا) ، وقال فى حزم :

ـ أنا على أتمِّ استعداد .

واتجه الاثنان نحو الباب الثانى للموت ..

* * *

انعقد حاجبا وزير الحرب السوريتى فى شدَّة ، وهو يتابع ما تنقله إليه أجهزته ، ويلقى تعليماته يَمْنَةً ويَسْرةً ، وبدا واضحًا أن المناخ العام فى وزارته شديد التوتُّر ، وأن درجة الطوارئ قد ارتفعت إلى الحدِّ الأقصى ، فقد كان المكان كله أشبه بخليَّة نحل ، تموج بالحركة ..

وفجأة .. أعلنت الأجهزة وصول الملك ..

لم يكن ذلك أمرًا مستساغًا أو معتادًا ، فى مثل هذه الظروف ، مما أثار دهشة الوزير فى شدة ، وهو يهرع لاستقبال

مليكه ، وينحنى أمامه فى احترام بالغ ، قائلًا فى لهجة لم تخل من نبرات الغيظ :

ــ مولاى .. أى رياح طيِّبة أتت بك إلى هنا ؟

أجابه الملك فى حِدَّة :

ــ بل قُلْ أيّة حماقة !

اعتدل الوزير ، وهو يهتف فى دهشة :

ــ عفوًا يا مولاى .. إن رعاياك المخلصين ......

قاطعه الملك فى حَنَق :

ــ اذهب إلى الجحيم ..

اتسعت عينا الوزير فى ذهول ، وتراجع فى حِدَّة تؤكِّد أنها المرة الأولى ، التى يسمع فيها من الملك مثل هذه العبارة ، على حين استطرد الملك فى حِدَّة ، وهو يزيحه من أمامه :

ــ كيف تسير الأمور ؟.. إلى أين وصل ذلك المنقذ الأسطورىّ؟

تبعه الوزير إلى الداخل ، وهو مقطِّب الحاجبين فى غضب ، وغمغم فى لهجة تجمع ما بيْن الحَنَق والتوتُّر :

ــ يبدو أنه قد نجح فى اجتياز العقبة الأولى يا مولاى .

توقَّف الملك بغتة ، واستدار إليه هاتفًا فى حَنَق

ــ نجح ؟!.. يا له من خبر !.. وكيف نجح فى تجاوز (البيتراكتول) الرهيب أيها الوزير ؟

أشاح الوزير بوجهه ، وهو يقول فى توتُّر :

ــ لست أدرى يا مولاى ، ولكن إشارات الجهاز ، الذى كنّا قد ثبّتناه فى قلب (البيتراكتول) ، قد توقَّفت ، مما يَعْنِى مصرع هذا الأخير ، و ......

قاطعه الملك بصرخة هادرة :

ــ مصرعه ؟!

وانتابته موجة عصبيّة رهيبة ، وهو يلوّح بذراعيه ، صارخًا :

ــ إنك تستحق القتل أيها الوزير .. تستحقه حقًّا .. لقد كان ينبغى أن نحيط حصن (الزاتون) بأكبر قدر ممكن من الحراسة .

ازداد غضب الوزير وتوتُّره ، وهو يهتف :

ــ إنه لم يتجاوز بعد سوى عقبة واحدة يا مولاى ، ومازالت أمامه ثلاث عقبات أخرى رهيبة .

سأله الملك فى عصبيَّة :

ــ وماذا لو فعل أيها الوزير ؟

ازداد انعقاد حاجبى الوزير فى شدة ، وهو يقول :

ــ مستحيل يا مولاى .. إنه لن يبلغ قبلة (الزاتون) أبدًا .

وانقلبت سحنته على نحو عجيب ، بدا أشبه بصورة مجسّمة للكراهية والبغض ، وهو يردف فى قوة :

ــ أبدًا ..

* * *

كانت القاعة الثانية فى نفس حجم وضخامة الأولى ، وكانت تختلف عنها فى أنها مضاءة بضوء أصفر هادئ ، على الرغم من المرايا التى تغطّى جدرانها وأرضيتها وسقفها ، فيما عدا دائرة مستديرة فى منتصف السقف ..

ولقد كانت هناك عشرات الفجوات المستديرة الصغيرة ، فى كل أنحاء جدران القاعة ..

ولقد توقّف (نور) و (جوشا) فى حذر ، وغمغم الثانى فى توتُّر :

ــ تُرَى .. ما الذى ينتظرنا هنا ؟

غمغم (نور) ، وهو يتلفَّت حوله :

ــ هذه الفتحات الصغيرة تثير توتُّرى .

أشار (جوشا) إلى أحد أركان القاعة ، وهو يقول :

ــ هذا يثير توتُّرى أكثر .

أدار (نور) عينيه إلى حيث أشار (جوشا) ، فوقع بصره

على خمس جثث مُلقاة على نحو متنافر ، لخمسة فرسان ، بدت وجوههم شاحبة فى شدة ، وعلى نحو غير عادى ، مما جعل (نور) يسأل (جوشا) فى حِدَّة :

ــ ماذا أصابهم ؟

اتجه (نور) نحو الجثث ، يفحصها فى حذر ، ثم لم يلبث أن عقد حاجبيه ، وهو يشير إلى دائرة محترقة فى ظهر ثوب أحد الفرسان :

ــ هذا هو السبب .

سأله (نور) ، وهو يقترب فى توتُّر :

ــ ما هذا ؟

أجابه (جوشا) فى ضيق :

ــ (البوبوا) .

سأله (نور) فى دهشة :

ــ ماذا ؟

فرد (جوشا) كفَيه ، وأدنى راحتيه ، على مسافة لا تتجاوز الثلاثين سنتيمترًا ، وهو يقول :

ــ (البوبوا) أحد المخلوقات التى تعيش على سطح كوكبنا ، وهى عبارة عن مخلوقات كروية شفَّافة ، تحمل شحنة

كهربية رهيبة ، وتطير بسرعة كبيرة ، وما إن تلتصق بجسم حيّ حتى تفرغ فيه شحنتها ، فتصعقه وتقتله على الفور .

غمغم (نور) ، وهو يعقد حاجبيه :

ــ مخلوقات كرويّة كهربية ؟!..

وفجأة اتسعت عيناه ، وهو يهتف :

ــ يا إلٰهي !!.. تلك الفتحات ..

لم يكد يتمّ عبارته ، حتى اندفعت من الفتحات المستديرة عشرات الكُرَات الشفَّافة القاتلة ..

اندفعت كلها نحوهما ..

ومن كل الاتجاهات ..

* * *



ـ لم يكد يتمّ عبارته ، حتى اندفعت من الفتحات المستديرة عشرات الكُرَات الشفَّافة القاتلة ..

٧ — كُرَات الشيطان ..

انهمرت عشرات الكُرات الشيطانية على بطلينا من كل صَوْب ، وتحرَّك الاثنان فى سرعة تستحق الإعجاب حقًّا .. فاستل الأوَّل سيفه ، وانتزع الثانى سلاحه ، وراح الاثنان يدوران حول نفسيهما فى سرعة كبيرة ، ويحاربان تلك الكُرات الجهنمية القاتلة ، وبدا الأمر كأنه لُعبة من ألعاب الڤيديو المجسَّمة الشهيرة قد تحوَّلت إلى مشهد حىّ ..

مشهد مُميت ..

لقد كان (جوشا) يتفادى الكُرات القاتلة ، ويطلق أشعة سلاحه الزرقاء على الكُرات الأخرى ، فتنفجر بدَوىّ مكتوم ، وتتلاشى فور انفجارها ، و (نور) يدور حول نفسه ، ويهوى سيفه البلّورىّ ، الذى توهَّج مرَّة أخرى بذلك الضوء الأخضر ، على الكُرات ..

ولم يكن ذلك بالأمر السهل ..

لم تمض دقائق حتى لهث بطلانا من كثرة المراوغة والمناورة والقتال ، وهتف (جوشا) :

— لا فائدة .. لن يمكننا المواصلة .

هتف (نور) :

— نعم .. إلَّا إذا .....

صاح به (جوشا) فى يأس :

— إلا إذا ماذا ؟

وفجأة .. قذف (نور) سيفه البلُّورى نحو القرص المستدير فى سقف القاعة ، فأصابه فى منتصفه تمامًا ، ونتج من الإصابة ضوء مُبهر ودوِىّ ، كالبرق والرعد ، ثم توقَّفت الكرات فجأة عن مهاجمة البطلين ، وعادت أدراجها إلى فتحاتها ، واختفت داخلها ، وعمَّ السُّكون ..

ولدهشة (نور) العارمة ، انتزع (السَّيفُ البلُّورىّ) نفسه من القرص المستدير ، واندفع نحو قبضة (نور) ، كأنَّما هو طفل يعود إلى ذراعى أمه ، وأحاط (نور) مقبضه بأصابعه ، وهو يغمغم فى دهشة :

— يا إلهى !!.. هذا السَّيف .....

قاطعه صوت (جوشا) ، وهو يهتف فى انبهار :

— كيف فعلت ذلك ؟

رفع (نور) إليه عينيه فى حَيْرَة ، وهو يغمغم :

— لست أدرى .. لقد فوجئت بالسَّيف يعود إلى قبضتى ، و .....

عاد (جوشا) يقاطعه : ..

ــ إننى لم أسألك عن عودة السَّيف إليك ، فهذا أمر طبيعى .

اتسعت عينا (نور) ، وهو يهتف فى دهشة :

ــ طبيعى ؟!

أجابه (جوشا) :

ــ بالطبع .. إن (السَّيف البلُّورى) يتوافق مع ذبذبة مالكه تمامًا ، وخاصة حينما يتوهَّج بذلك الوهج الأخضر ، وما دام فى حالة قتال ، فهو يعود إلى قبضة مالكه دَوْمًا ، كلما أصاب هدفه .

ثم عاد يستطرد فى لهفة :

ــ إننى أسألك كيف عرفت أن ذلك القرص المستدير هو الذى يحكم حركة كُرَات الموت ؟

هزَّ (نور) كتفيه ، وانتظر حتى عاد السَّيف إلى شفافيته ، وأعاده إلى غِمْده ، ثم أجاب :

ــ كان مجرَّد استنتاج يائس ، فلقد كان القرص يضىء المكان ، على حين كان من الأفضل لواضعى ذلك الفخ ، أن يُظلموا القاعة ، حتى تصبح قدرة الضحية على المقاومة صفرًا ؛

لذا فقد توقَّعت أن هذا القرص هو الذى يدفع الكُرات لمهاجمتنا .

صمت (جوشا) لحظات ، مع ذلك الظلام الذى ساد المكان ، بعد أن خبا بريق السَّيف ، ثم أخرج من جيبه قرصًا آخر ، ضغط جانبيه ، وتركه فى الهواء ، فأضاء المكان تدريجيًا ، وغمغم (جوشا) :

ــ أنت عبقرى حقًّا أيها القائد .

عاد (نور) يهز كتفيه ، وهو يقول فى بساطة :

ــ لم يكن لدىَّ ما أخسره .

ابتسم (جوشا) ، وهو يقول :

ــ ولقد ربحت .

شاركه (نور) ابتسامته ، وهو يقول :

ــ كم أتمنَّى أن تنطق بالعبارة نفسها ، بعد أن نتجاوز الباب الثالث .

غمغم (جوشا) :

ــ أظنَّنى أشاركك تلك الأمنيَة أيها القائد ..

ثم أشار إلى جثث الفرسان الخمسة ، مستطردًا فى قلق :

ــ هذا العدد من القتلى يعنى أن فارسين من فرساننا قد

نجحوا فى اجتياز العقبة الثانية . ودخلوا عبْر الباب الثالث .

أومأ (نور) برأسه موافقًا ، وهو يقول :

ــ هذا صحيح ، ولكن .....

صمت لحظة وهو يتجه نحو الباب الثالث ، ثم أردف :

ــ هل وصلوا إلى الباب الرابع ؟.

ثم دفع باب الموت الثالث ..

* * *

احتقن وجه وزير الحرب السوفيتى ، فتحوّل من اللّون البرونزىّ المعدنىّ إلى الأسود ، وانعقد حاجباه فى شدة ، وهو يتابع ما تنقله إليه أجهزة مراقبة أمن حصن (الزاتون) ، مما جعل الملك يسأله فى حِدّة :

ــ حسنًا .. ماذا حدث هذه المرّة ؟

حاول الوزير أن يجيب على الفور ، إلّا أن تلك الغُصّة فى حلقه أعجزته لحظات ، عيل خلالها صبر الملك ، فصرخ فى وجهه مَحْنقًا :

ــ ماذا حدث ؟

أجابه الوزير فى حدّة :

ــ لقد تحطّم جهاز استثارة كُرات (البوبوا) .

اتسعت عينا الملك ، وهتف فى حَنَق :

ــ وما الذى يَعْنيه ذلك ؟

بدا السؤال غبيًا فى نظر الوزير ، إلّا أنه أجاب :

ــ يَعْنِى أن أحدهم قد حَطّمه .

عقد الملك حاجبيه فى شدة ، وهو يهتف :

ــ أعلم ذلك بالطبع أيها الغبىّ .. إننى أسألك ما الذى يعْنيه ذلك ، بالنسبة للمنقذ الأسطورى ؟

انعقد حاجبا الوزير بمزيد من الشدة ، وهو يغمغم ساخطًا :

ــ يَعْنِى أنه قد تجاوز العقبة الثانية .

صرخ الملك فى غضب هائل :

ــ عليك اللّعنة !!

ثمّ لوّح بذراعه ، هاتفًا :

ــ مُرْ رجالك باقتحام الحصن ، وقتل ذلك المنقذ الأسطورى ، قبل أن يصل إلى قبلتنا .

هتف الوزير :

ــ هذا مستحيل يامولاى .

صاح به الملك فى غضب :

ـ لماذا ؟

أجابه الوزير فى توتُّر بالغ :

ـ لنفس السبب ، الذى يمنعنا من إحاطة المكان بحرّاسنا .

عقد الملك حاجبيه ، وهو يتطلّع إليه فى حيْرة . فأكمل الوزير فى ضيق :

ـ لقد تم تصميم دفاعات الحصن على نحو خاص ، يجعلها عبارة عن آلة قتل فقط ، لا تُحابى أحدًا ، أو تسالم مخلوقًا ، خشية أن ينجح الأعداء فى التسلّل إليها ، عبْر أساليب ملتوية ، بانتحال شخصية حراسنا ، أو الاستيلاء على بطاقاتهم الإليكترونية .. ثم إن كل شىء داخلها يدار ويتم إصلاحه آليًا ، وهذا يَعْنِى أنه حتى لو نجح ذلك المنقذ الأسطورى فى الوصول إلى قبلتنا وتعطيلها . فهو سيواجه فى خروجه من الحصن نفس الأهوال ، التى لاقاها فى دخوله إليه ، حيث ستكون قد أُصلحت ، أو تمت الاستعاضة عنها . ولو لحق به رجالنا الآن ، فسيكون عليهم أن يواجهوا الأخطار والأهوال نفسها ، حتى يصلوا إليه .

هتف الملك :

ـ ولكنهم سيتمكَّنون من الوصول إليه .

أجابه الوزير فى مرارة :

ـ لا يا مولاى .

صاح الملك فى غضب :

ـ أيَعْنِى أنه أشجع وأقوى من فرساننا ؟.. ما دام قد وصل فسيصلون .

هتف الوزير فى توتُّر :

ـ لقد وصل لأنه يقاتل من أجل هدف ما يا مولاى ، أما رجالنا ، فسيتراجعون إذا ما تأزّمت الأمور كثيرًا .

ران الصمت لحظة ، ثم غمغم الملك فى حَنَق :

ـ أيَعْنِى هذا أن نتركه يمضى فى طريقه ؟

عاد الصمت لحظة أخرى ، قبل أن يجيب الوزير :

ـ لست أظنه سيبلغ النهاية يا مولاى .

هتف الملك فى غضب :

ـ لقد قلت ذلك من قبل .

أجاب الوزير فى صلابة :

ـ الأمر فى المرحلة الثالثة يختلف يا مولاى .. ففى المرحلتين السابقتين كان يواجه صُوَرًا من الموت .

وصمت لحظة ، قبل أن يضيف فى صرامة :

ــ أما فى هذه المرة ، فسيكون عليه أن يواجه الموت نفسه ..

* * *

أقسم (نور) فى أعماقه على أنه لم يشاهد ، فى حياته كلها ، ما هو أشد بعثًا للانقباض والكآبة ، من تلك القاعة الثالثة .

لقد كانت أشبه بمقبرة قديمة ، تغطى أرضها الأتربة غير المنتظمة ، وترتفع فى أجزاء متفرِّقة منها شواهد قبور مهدَّمة ، وقد طُليت جدرانها بلون أسود داكن ، ويضيئها قرص أبيض باهت ، يضيع نصف ضوئه فى ذلك الضباب المتوسط الكثافة ، الذى يسبح فى جوِّها ..

وفى منتصفها تقريبًا جثتا الفارسين الأخيرين ..

جثتان بلا رءُوس ..

كان عنقاهما مجتثَّين من قاعدتهما ، وكان رأساهما ملقيَّين فى ركن القاعة ..

وهتف (جوشا) فى غضب :

ــ أى حقير فعل هذا بفرساننا ؟

كان (نور) يفحص جدران القاعة ببصره فى خبْرة ، وهو يغمغم :

ــ بل قُل من أين جاء ذلك الحقير ، فهذه القاعة ، بخلاف القاعتين السابقتين ، لاتحوى أيَّة فتحات جانبية .

تلفَّت (جوشا) حوله ، وهو يقول :

ــ عجبًا !!.. هذا صحيح !.. من أين يأتى الخطر هذه المرة إذن ؟

خفض (نور) عينيه إلى أرضيه القاعة ، وهو يقول :

ــ المشهد كله يُوحى لى بفكرة جنونية يا (جوشا) .

التفت إليه (جوشا) يسأله فى اهتمام :

ــ أيَّة فكرة ؟

أجابه (نور) ، وهو يشير إلى شواهد القبور :

ــ لو أننا فى عالمى ، ولو أن هذا مشهد فى واحد من أفلام الرُّعب المجسَّمة ، لخرج الموت من تحت أقدامنا ، و .....

لم يكد يتم عبارته ، حتى دوَّت فرقعة قويَّة فى القاعة ، وارتجَّت الأرض تحت قدميهما لحظة ، ثم انشقَّت فى ستة مواضع مختلفة ، أمام شواهد القبور ، وصعد منها الموت ..

انتصبت ستة هياكل عظمية مخيفة ، يحمل كل منها سيفًا حادًّا ، ودرعًا صلبةً ، وأطلَّ من تجاويف عيونها العميقة بريق مخيف ..

بريق الموت ..

ثم تحرَّكت الهياكل الستة ، وهاجمت كلها فى آن واحد ..

لقد انبعث الموت فى عالم الأحياء ..

* * *



٨ ـــ الموتى والأحياء ..

كانت مفاجأة مُذهِلة ومُرعبَة بحقّ ..

كان الموتى قد هبُّوا من رقادهم ، ليقاتلوا الأحياء ، بكل شراسة الجحيم ..

وكان المشهد وحده كفيلًا بتحطيم أشد القلوب قوّةً وبأسًا ..

ولكن (نور) و (جوشا) تحرَّكا فى سرعة ..

لقد أنقذتهما طبيعتهما كفارسين ، وأنقذهما توقعهما للمفاجآت والرُّعب ..

ولقد قفز (جوشا) جانبًا ، متفاديًا ضربة سيف هائلة ، من أحد الهياكل العظمية ، ثم استلَّ سلاحه ، وأطلق أشعته الزرقاء على رأس الهيكل مباشرةً ، فارتدَّ الهيكل إلى الوراء فى عنف ، وسقط أرضًا ، إلَّا أنه لم يكد يفعل ، حتى انتصب قائمًا مرّة أخرى ، وعاود الهجوم ، مشتركًا مع زميلين آخرين ..

أما (نور) ، فقد استلَّ سيفه البلُّورىّ ، الذى توهَّج بذلك الوهج الأخضر على الفور ، ومال جانبًا ، فى نفس اللحظة التى هوى فيها أحد السُّيوف على عنقه ، فتجاوزه نصلُ السَّيف ،

وأصاب طرفًا من ذراعه ، ولكن (نور) اعتدل فى سرعة ، وهوى بسيفه على عنق الهيكل ، فبترها ، أو بمعنى أدقّ ، فصل الفقرات العنقية عن بعضها البعض ، فهوت الجمجمة أرضًا ..

ولكن ذلك لم يوقف القتال ..

لقد واصل الهيكل هجومه ، بلا رأس ..

وبدا الموقف يائسًا حقًّا هذه المرّة ..

كان (جوشا) يميل يَمْنَةً وَيَسْرَةً ، ويتراجعُ ، ويناور ، ويحاور ، ويتفادى ضربات السُّيوف ، ويطلق أشعته الزرقاء فى بأس ..

و (نور) يهوى بسيفه على الرءُوس والصدور والأطراف ، دون أيّة بادرة أمل ..

وفجأة .. أصاب سيف (نور) عظمة القصّ ، فى صدر أحد الهياكل ، فتهاوَى دفعة واحدة ، وسكنت حركته تمامًا ..

وهنا صرخ (نور) :

ــ فى القصّ يا (جوشا) .. فى القصّ مباشرة .

أوقف الهتاف (جوشا) لحظة ، أصابه خلالها نصل أحد السُّيوف فى ذراعه ، فأدماها ، ومزّق جزءًا من لحمها ، إلّا أن (جوشا) تراجع فى سرعة ، وصوّب سلاحه إلى حيث أوصاه (نور) ، وأطلق أشعته ..

وسقط الموتى أمام الأحياء ..

سقطت الهياكل العظمية واحدًا بعد الآخر ، إما بسيف (نور) البلّوريّ ، أو بأشعة (جوشا) الزرقاء ..

وعندما انتهى الأمر ، وسقطت كل الهياكل ، بدا المكان بالفعل كالمقبرة ..

وساد صمت رهيب ، قبل أن يغمغم (نور) :

ــ أشخاص آلية .

تمتم (جوشا) فى دهشة ، وهو يضمّد جرح ذراعه :

ــ ماذا ؟

أشار (نور) إلى الهياكل العظمية ، قائلًا :

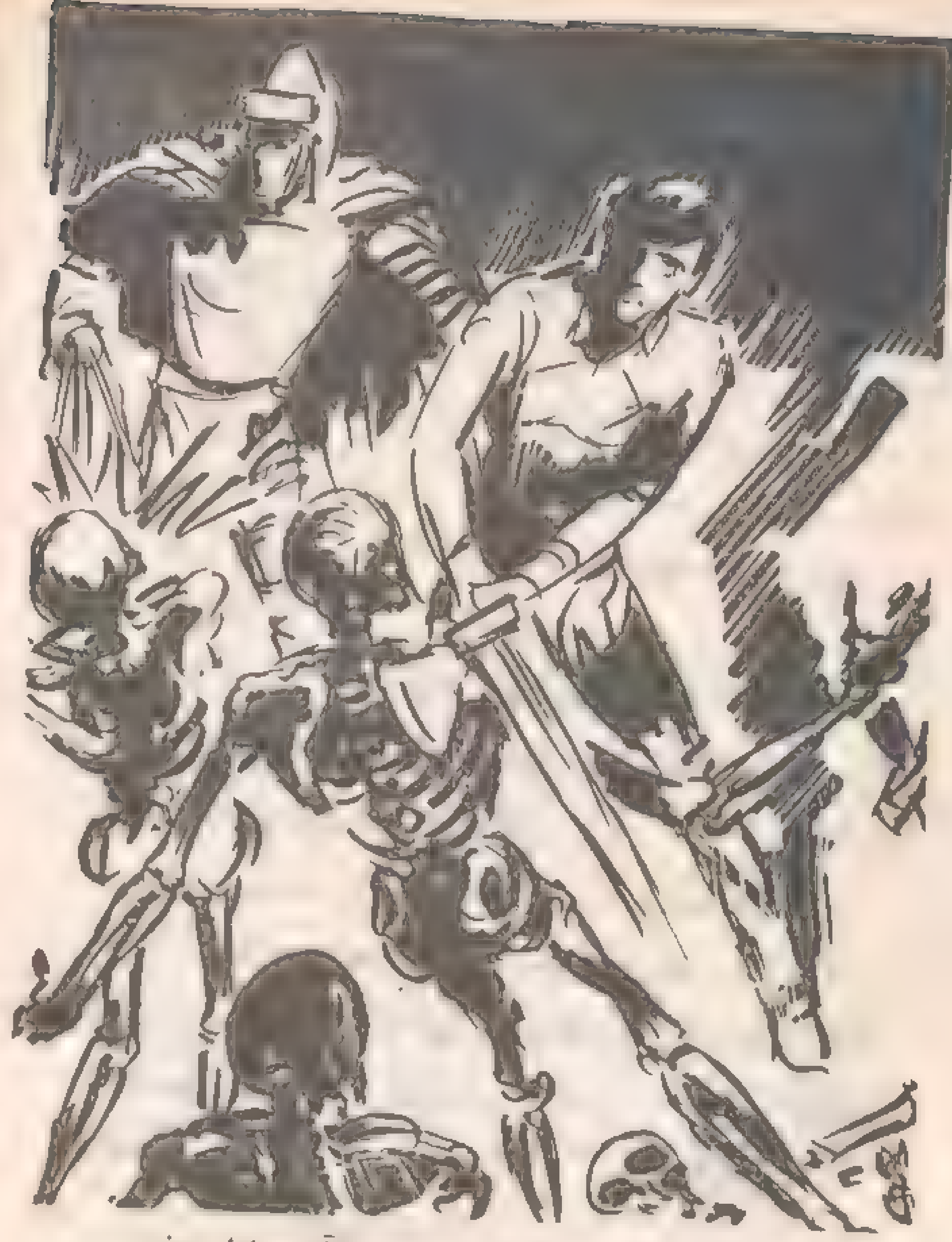
ــ كل هذه مجرّد أشخاص آلية ، مصنوعة على هيئة هياكل عظمية ، لتبعث الرُّعب فى القلوب .

ثم أدار سبّابته إلى جثتى الفارسين ، مستطردًا :

ــ أراهنك أن هذين المسكينين قد تسمّرا من الرُّعب ، حتى أنهما لم يرفعا سلاحيهما فى وجه السُّيوف القاتلة قطُّ .

استند (جوشا) بظهره إلى الجدار ، ثم ثنى ركبتيه ، لينخفض تدريجيًا ، حتى جلس أرضًا ، وهو يغمغم :

ــ يا له من مخطّط شيطانىّ !!



سقطت الهياكل العظمية واحدًا بعد الآخر ، إما بسيف (نور) البلُّورىّ ، أو بأشعة (جوشا) الزرقاء ..

جلس (نور) إلى جواره ، وهو يقول :

ـ مخطَّط متقن للغاية ، فمن يَعْبُر العقبتين السابقتين ، يكون فى حالة توتُّر نفسىّ رهيب ، وتكون فكرة الموت قد ملأت رأسه إلى درجة التشبُّع ، حتى أنه ما إن يرى تلك الهياكل العظمية ، حتى ينهار تمامًا ، ويعجز عن صد هجومها ، و ...

بتر عبارته فجأة ، وعقد حاجبيه ، كأنما شىء ما قد جذب انتباهه فى شدة ، فسأله (جوشا) ، دون أن يدير عينيه إليه :

ـ فيمَ تفكِّر ؟

غمغم (نور) :

ـ يخيَّل إلىَّ أننى لم أكن أصوِّب السيف إلى عظمة القصّ ، حينما أصابها ، وكشف لنا عن موطن ضعف تلك الأشخاص الآلية .

ابتسم (جوشا) ، وهو يقول :

ـ ذلك لايدهشنى ، فأنا أثق كثيرًا فى (السيف البلُّورىّ) .

هزَّ (نور) رأسه ، وهو يغمغم :

ـ عجبًا !!

ثم تطلَّع إلى السيف ، وابتسم ابتسامة باهتة ، وهو يستطرد :

ـ أظن أنه سيأتى يوم أومن فيه بواقعية كل الأساطير ، المتداولة على كوكب الأرض .

غمغم (جوشا) ، وهو يغلق عينيه فى إرهاق :

ـ ولِمَ لا ؟.. الأسطورة هى دوْمًا تحوير للحقيقة ، أو رسم لحلم .

أسبل (نور) جفنيه بدوْره ، وهو يقول :

ـ ياله من تشبيه !!.. أتعلم أننى قد بدأت أشكُّ فى أن قومكم قد هبطوا على كوكبى منذ زمن .

مطَّ (جوشا) شفتيه ، وهو يقول :

ـ ولماذا الشك ؟.. لقد حدث هذا بالفعل .

فتح (نور) عينيه فى دهشة ، والتفت يحدّق فى وجه (جوشا) لحظة ، ثم عاد يستند بمؤخرة رأسه إلى الحائط ، ويغلق عينيه ، مغمغمًا :

ـ لماذا لم يُذكر ذلك فى تاريخكم إذن ؟.. من المفروض أننى أعلمه كله الآن .. أليس كذلك ؟

ابتسم (جوشا) فى إرهاق ، وهو يقول :

ـ لم يكن هناك وقت لتعلم كل تاريخنا ؛ لذا فقد اكتفينا بتلقينك التاريخ الحربى فحسب ، ورحلة الأرض لم تكن حربية ،

بل كانت مجرَّد زيارة فضائية ، ولقد بقى زميلنا (ميرلين) هناك ، مع ملككم (آرثر) ، و .....

قاطعه (نور) هاتفًا :

ـ يا إلهى !!.. الملك (آرثر) ، والساحر (ميرلين) .. كيف لم أنتبه إلى ذلك ؟.. إنها نفس أسطورة السَّيف المغروس فى كتلة معدنية ، ولكن السَّيف فى أسطورة (آرثر) كان معدنيًا ، والكتلة كانت صخرية .

ابتسم (جوشا) ، مغمغمًا :

ـ الزمن يبدِّل الكثير من الحقائق .

أومأ (نور) برأسه موافقًا ، وهو يغمغم :

ـ أنت على حقّ .

رانَ عليهما صمت طويل ، حتى خشى (جوشا) أن يغلبهما النوم ، فقال :

ـ ألَنْ نعبُر الباب الرابع ؟

لم يتلقَّ جوابًا ، ممَّا أقلقه ، ففتح عينيه ، وأدارهما إلى (نور) ، قائلًا :

ـ هل استغرقت فى النوم أيها القائد ؟

أدهشه أن أجابه (نور) فى هدوء :

ـ الموت نفسه يخشى ولُوج هذا الجحيم يا صديقى .

سأله فى صوت منخفض :

— فيمَ كنت تفكِّر إذن ؟

تنهَّد (نور) فى عمق ، وأجاب :

— فى كوكبى ، وزوجتى ، وابنتى ، وأصدقائى .. لا ريب أنهم يشعرون بحزن شديد الآن لغيابى .

تنهَّد (جوشا) بدَوْرِه ، وقال :

— لن تلبث أن تعود إليهم ، بعد النصر .

غمغم (نور) :

— نعم .. بعد النصر .

ثم هبَّ واقفًا ، وبدا كأنما قد استعاد نشاطه كله ، وهو يُردِف فى حزم :

— دَعْنَا لا نضيع الوقت إذن ، فشعبك كله ينتظر نجاحنا .. هيَّا .

تبعه (جوشا) ، وهو يقول :

— سأتبعك إلى نهاية الكون أيها القائد ، ولكن تذكَّر أن آخر فرساننا قد لقى مصرعه هنا ، وهذا يعنى أننا أوَّل من يعبُر باب الموت الرابع ..

ابتسم (نور) فى توتُّر ، وهو يغمغم :

— المهم أن نعود عَبْرَه يا صديقى ..

وعَبَراه إلى الوجه الرابع للموت ، الذى لم يعبُره أحد من قبلهما .. قطُّ .

* * *

لوَّح ملك (السوريت) بذراعه فى ثورة ، وهو يهتف فى غضب :

— لقد عَبَر العائق الثالث أيها الوزير .. كل إشارات الهياكل الآلية توقَّفت ، وهذا يعنى أن ذلك المنقذ الأسطورىّ قد حطَّمها عن آخرها .

هتف الوزير فى غضب :

— فليكن .. ولكنه لن يصمد أمام العائق الأخير .

صرخ الملك فى ثورة :

— كفى .. لقد سئمت تلك العبارة الهزلية .

هتف الوزير :

— أراهن بشرفى أنه لن يصمد أمام العائق الأخير .

وانعقد حاجباه فى شدة ، فمنحاه مظهرًا شيطانيًّا ، وهو يستطرد :

— إنه سيواجه هذه المرَّة أشرس عائق فى الوجود .

وارتجف صوته فى بغض وكراهية ، وهو يستطرد :



كان يقف أمامه تمامًا ملك (أدريكا) الراحل ، الذى قتله (السوريت) ..

ـ الخوف ..

* * *

كانت القاعة الرابعة خالية تمامًا ، مما أثار دهشة (نور) و (جوشا) ، فقال (نور) فى حَيْرة :

ـ ما الذى يعنيه هذا ؟.. أى خطر تحويه هذه القاعة بالضبط ؟

أشار (جوشا) نحو الباب الوحيد للقاعة ، وهو يقول :

ـ ربما كانت لا تحوى شيئًا .. هلُمّ بنا نعبُرها بسرعة ، و .....

وفجأة .. تجمّدت الكلمات على شفتيه ، واتسعت عيناه فى دهشة وذُعر ، وتراجع مغمغمًا فى صوت ارتجفت حروفه ، واضطربت فى شِدّة :

ـ مولاى ؟!

كان يقف أمامه تماما ملك (أدريكا) الراحل ، الذى قتله (السوريت) ، فى هجومهم على المخبإ السّرّىّ ، وكان يتطلّع إليه فى غضب ، جعل (جوشا) يرتجف ، وهو يواصل تراجعه ، مردّدًا :

ـ مولاى .. مولاى ..

رفع الملك سبّابته إليه ، وقال فى غضب صارم

ـ أنت خائن يا (جوشا) ..

هتف (جوشا) فى ذُعْر :

ـ أنا يا مولاى ؟

أجابه الملك :

ـ نعم .. انت يا (جوشا) .. لقد كان واجبك هو أن تدافع عن مليكك ، حينما اقتحم الأعداء مخبأه .. ولكنك بدلًا من ذلك ، بذلت طاقتك فى سبيل شخص غريب عن وطنك ، وعن كوكبك كله .

ارتجف (جوشا) ، وهو يقول :

ـ ولكن يا مولاى .. إنه حامل (السّيف البلّورىّ) ، وقائد معركة التحرير ، و .....

قاطعه الملك فى صرامة :

ـ أنت خائن يا (جوشا) .. خائن .

صرخ (جوشا) :

ـ كلّا يا مولاى .. كلّا .. كلّا ..

قد يتساءل القارئ ، كيف أن (نور) قد وقف يشاهد كل هذا فى لامبالاة ..

الواقع أن (نور) لم يفعل ؛ لأنه كان مشغولًا بابنته وزوجته ..

نعم .. ابنته وزوجته ..

فى نفس اللحظة التى رأى فيها (جوشا) ملكه الراحل ، كان (نور) يرى أمامه (سلوى) و (نشوى) ، فى حالة يرثى لها ، ودموعهما تملأ وجهيهما ، وكانت زوجته تهتف به فى مرارة :

ـ لماذا تركتنا يا (نور) ؟.. لماذا تركتنا لتقاتل فى معركة ليست معركتك ؟

جرحته عبارتها ، فغمغم فى ألم :

ـ إننى لم آت بمحض إرادتى يا (سلوى) .. ثم إنها معركة حرّية ، وأنا .....

قاطعته ابنته فى غضب :

ـ وأنت ماذا ؟ أتعلم كم نتعذّب منذ اختفيت ؟.. أتعلم كم نقاسى ؟.

شعر بغصّة فى قلبه ، وهو يقول :

ـ كل هذا سينتهى عمّا قريب .. كل هذا ..

صرخت ابنته (نشوى) تقاطعه :

ـ إنك تكرهنا .

هتف فى ذُهول وألم :

ـ أنا ؟

صاحت به :

ـ نعم .. تكرهنا .. لقد بعثنا من أجلهم .. من أجلهم ..

تردَّدت الكلمة الأخيرة فى رأسه فى عنف ، فى نفس اللحظة التى كان (جوشا) يسمع فيها صوت الملك ، يقول :

ـ لابدَّ أن تكفِّر عن خيانتك يا (جوشا) .. لابدَّ .

صرخ (جوشا) :

ـ سأفعل ما تأمرنى به يامولاى .. سأقتل نفسى لو أردت .

صاح الملك فى صرامة :

ـ كلَّا .. ليس نفسك يا (جوشا) .

غمغم (جوشا) فى حَيْرة :

ـ من أقتل إذن يامولاى ؟

أشار الملك إلى (نور) ، وقال فى حزم :

ـ هذا .

اتسعت عينا (جوشا) فى ذُعر ، وتراجع هاتفًا :

ـ ولكنه منقذنا الأُسطورى يامولاى .

صاح الملك فى غضب :

ـ أتعصى أوامر مليكك يا (جوشا) ؟!

أغلق (جوشا) عينيه فى قوة ، وعضَّ على نواجذه فى ألم ، وقال فى صرامة :

ـ كلَّا يامولاى .. سأطيع أوامرك ، مهما كان الثمن .

وانتزع سلاحه ، وصوَّبه نحو رأس (نور) ، وصرخ :

ـ المجد لـ (أدريكا) .

ثم أطلق الأشعة الزرقاء القاتلة ..

* * *



٩ ـ الخُطوة الأخيرة ..

يمكننا أن نؤكد ، بما لا يدع مجالًا للشك ، أن صيحة (جوشا) الأخيرة ، وهو يدعو لـ (أدريكا) بالمجد ؛ كانت هى نفسها سبب نجاة (نور) ؛ فقد أيقظته فجأة من أفكاره ، وجعلته ينتبه إلى موقف (جوشا) منه ، فينحنى متفاديًا طلقة الأشعة القاتلة فى الوقت المناسب ، ثم يستلّ سيفه البلّورىّ ، ويطيح بسلاح (جوشا) فى ضربة واحدة ..

ولكن (جوشا) لم يتراجع ، على الرغم من فقده لسلاحه ..

لقد صرخ مرّة أخرى :

ـ المجد لـ (أدريكا) .

ثم انقضّ على (نور) ..

وكان من أسهل الأمور ، بالنسبة لـ (نور) ، أن يستقبله بنصل سيفه ، فيغرسه حتى مقبضه فى قلبه ، إلّا أن (نور) لم يكن بالشخص الذى يقتل أعزل ؛ لذا فقد أعاد سيفه إلى غمده ، واستقبل (جوشا) بلكمة قوية ، وهو يهتف :

ـ أفق يا (جوشا) .. إنك تحيا وهمًا .. وهمًا خلقته نفسك .

بدا وكأن (جوشا) لم يستمع إليه ، وهو يستعيد توازنه ، وينقضّ عليه ، صارخًا :

ـ الموت للأجنبى .

انحنى (نور) فى مهارة ، متفاديًا انقضاضة (جوشا) ، ثم قفز جانبًا ، وترك (جوشا) يندفع إلى الأمام ، وتعلّق هو بعنقه من الخلف ، فأسقطه على وجهه ، وأحاط عنقه بساعده فى قوة ، ولوى ذراعه الأخرى خلف ظهره ، وهو يصيح به فى صرامة :

ـ أفق يا (جوشا) .. إن ما رأيته ـ أيًا ما كان ـ لم يكن سوى وهْم .. مجرّد مخاوف فى عقلك الباطن ، ساعدها شىء ما فى هذه الحجرة على الظهور ، والتجسُّد فى صورة لا يراها سواك .. صدّقنى .. إننا لم نرَ شيئًا .. لم نرَ شيئًا ..

قاوم (جوشا) فى عنف ، وهو يتطلّع إلى صورة مليكه الغاضب ، ولكن كلمات (نور) المنطقية وجدت طريقها إلى عقله رُويدًا رُويدًا ، وراحت صورة الملك تتلاشى بالتدريج ، حتى اختفت ، فأغلق (جوشا) عينيه فى مرارة ، وهو يقول :

ـ كيف عرفت ؟

ـ تخلّى (نور) عن عنقه وذراعه ، وهو يقول :

— كان من المستحيل أن تأتى ابنتى وزوجتى إلى هنا ، أيًا ما كانت الأسباب ، ولو أن أحدًا قد جلبها إلى هنا بالقوة ، لاستقبلتانى بالفرحة والدهشة ، وما عاتبتانى على أننى تركتهما وحدهما على الأرض .. ولقد عدت إلى عبارة شهيرة ، لأحد أشهر كتّاب الأرض ، يقول فيها على لسان بطله : « حينما نستبعد المستحيل ، فإن مايتبقى يكون هو الحقيقة ، مهما بلغت غرابتها »(*) .. وهكذا أيقنت من أن كل هذا مجرّد وهم خلقته عقولنا .

اعتدل (جوشا) ، وهو يقول :

— أتعنى أننا قد اجتزنا العقبة الأخيرة ؟

ابتسم (نور) ، وهو يقول :

— نعم يا صديقى .. لقد اجتزنا كل أبواب الموت .

ثم اتجه نحو باب القاعة ، ودفعه ، وأشار إلى القاعة الأخيرة ، التى تحوى فى منتصفها كرة زجاجية ضخمة ، ترقد داخلها قنبلة (الزاتون) ، وقال فى ارتياح :

— ووصلنا إلى قلب الهدف ..

* * *

(*) الكاتب هو (سير آرثر كونان دويل) (١٨٥٩-١٩٣٠) ، والشخصية هى أشهر الشخصيات البوليسية على الإطلاق (شيرلوك هولمز) .

شحب وجه ملك (السوريت) ، وامتقع فى شدة ، وهو يهتف :

— افعل شيئًا يا وزير الحرب .. لا تتركهما يهددان سلاحنا الأوّل هكذا .

غمغم وزير الحرب فى حَنَق وكراهية ومرارة :

— لا يوجد ما يمكن فعله الآن يا مولاى .. للأسف .

اختنق صوت الملك ، وهو يهتف :

— أين شرفك الذى راهنت به إذن ؟.. افعل أى شىء .. انسف القنبلة لو أن هذا هو الحل الوحيد .

صاح الوزير فى توتُّر :

— هذا مستحيل يا مولاى ، فلو انفجرت القنبلة ، فسيَعْنِى هذا دمارنا جميعًا ، ما دمنا لم نغادر قارة هؤلاء الأدريكيين بعد .

ثم عقد حاجبيه ، مستطردًا فى حَنَق :

— دَعْهُم يفسدون القنبلة ، فكل شىء يمكن إصلاحه وتعويضه .

غمغم الملك فى انهيار :

— ولكن هذا يَعْنِى نجاح ثورتهم .

هتف الوزير فى عصبيَّة :



وقف (نور) و (جوشا) يتطلّعان إلى القنبلة فى رهبة ..

ـ على جثتى .

ثم عاد إلى صرامته ، مستطردًا :

ـ سبق أن أخبرتك يا مولاى ، أن أحد زعماء المقاومة جاسوس لنا .. ولقد عرفنا منه متى وكيف تهبّ الثورة ، وعرفنا أيضًا كلمة السّر ، التى سينقلها ذلك المنقذ الأسطورىّ إلى الشعب ، ليبدأ ثورته ، وسنعد لهؤلاء الثوار أكبر مفاجأة .. سنحيل ثورتهم إلى مذبحة .. أكبر مذبحة فى تاريخ (جودان) ..

* * *

وقف (نور) و (جوشا) يتطلّعان إلى القنبلة فى رهبة ، ثم غمغم (نور) :

ـ تُرى كيف يمكن تعطيلها ؟

أجابه (جوشا) فى هدوء :

ـ (السّيف البلّورىّ) يعلم كيف .

تطلّع إليه (نور) فى دهشة ، فابتسم (جوشا) ، وقال :

ـ دَعْهُ يعمل وحده .

استلّ (نور) (السيف البلّورىّ) من غِمده ، ورفعه أمام وجهه ، قائلًا :

ـ إننى أراهن على السيف بحياة قومك كلهم يا (جوشا) .

تألق السيف بذلك البريق الأخضر ، ورفعه (نور) ، وهتف :

ـ اذهب .

ثم ألقاه نحو القنبلة ..

واتجه السيف نحوها فى خط مستقيم ، ثم انحرف فجأة إلى أعلى ، وضرب بروزًا فى أعلاها ، ثم عاد أدراجه ، واستقر فى راحة (نور) ، الذى هتف مبهورًا :

ـ هل انتهى مفعول القنبلة هكذا ؟

ابتسم (جوشا) فى ارتياح ، وهو يقول :

ـ بالتأكيد .. فالسيف البلورى سينفذ كل رغباتك .

تنهد (نور) فى ارتياح ، وقال :

ـ فى هذه الحالة ......

وبدلًا من أن يتم عبارته ، رفع جهاز الإرسال الصغير إلى فمه ، وقال كلمة السر ، بكل فخر واعتزاز :

ـ (مصر) .

ولم يدر أنه بنطقه هذه الكلمة لم يبدأ ثورة ..

وإنما بدأ مذبحة ..

* * *

١٠ ـ الثورة ..

لقد كانت حقًا مذبحة ..

انطلقت الجماهير من كل صوب ، فى ثورة عارمة ، ضد المحتل السوريتى الغاصب ، وحاول زعماء المقاومة ، فيما عدا الخائن بالطبع ، تنظيم الصفوف ، وتنفيذ الخطة المعدة من قبل ، للسيطرة على قواعد الطاقة ، والاستيلاء على محطات القوة والأسلحة ..

ولكن (السوريت) كانوا فى انتظارهم ..

وكانت المذبحة ..

سالت دماء الأدريكيين أنهارًا ..

روت أرضهم ..

أذابت صراعهم ..

أضاعت آمالهم ..

وفى النهاية .. لم يكن أمامهم سوى الاستسلام ..

استسلم ملايين الأدريكيين لعدوهم ، الذى جمعهم فى صفوف عريضة ، ليستعرض هزيمتهم ومذلتهم أمام ملك (السوريت) ، ووزير حربه ، اللذين اعتليا منصة عالية ، ووقفا يشاهدان طوابير الأذلاء فى فخر وشماتة ..

وهناك ، فى قلب حصن الجحيم ، علم (نور) بواسطة جهازه الصغير أن الثورة قد فشلت ، وشعر بمرارة عارمة ، وأشاح بوجهه عن (جوشا) ، الذى كاد ينفجر باكيًا ، وهو يغمغم :

ــ بعد كل هذا ؟!

أجابه (نور) فى مرارة :

ــ هناك خائن بالتأكيد .. لقد كان (السوريت) يعلمون تفاصيل الخطَّة ، ومواقع الهجوم بالتحديد .

غمغم (جوشا) فى ألم :

ــ إنها النهاية .. لقد باءت آخر محاولات التحرُّر بالفشل .

خيَّم عليهما صمت مرير ، قبل أن يهبّ (نور) واقفًا ، ويهتف :

ــ ربَّما لا .

(جوشا) فى لهفة :

ــ ما الذى تعنيه ؟

استلَّ (نور) سيفه ، وهو يقول فى حماس :

ــ الجماهير لم تر المنقذ الأسطورى بعد ، ومن يدرى ما الذى يمكن أن يحدث لو رأوه الآن ؟

هتف (جوشا) ، وقد تفجَّر الحماس فى نفسه مرّة أخرى :

ــ يا للخالق !!.. ستكون انفعالاتهم رهيبة .

صاح (نور) :

ــ هيَّا نغادر هذا المكان ، ونلقى ورقتنا الأخيرة يا (جوشا) .

همَّ (جوشا) بتبعه إلى الخارج ، ولكن (نور) توقَّف بغتة ، وقال فى قلق :

ــ مهلًا .. ماذا لو أن العقبات كلها قد عادت إلى العمل ؟

سأله (جوشا) فى دهشة :

ــ أهذا معقول ؟

أجابه (نور) :

ــ بل أكثر من معقول .. إنه مؤكَّد .. أتظن أن الفرسان قد عبرُوا من عقبة إلى أخرى ، قبل أن يتغلَّبوا على العقبات التى يتجاوزونها ؟.. ومع ذلك فقد وجدنا كل شىء مؤهلًا للعمل وسليمًا تمامًا .

ابتسم (جوشا) ، وهو يقول :

ــ هذا لا يهمّ ، فلقد احتطت لذلك .

ثم أشار إلى حزامه ، قائلًا :

ـ هناك كمبيوتر صغير فى حزامى ، برمج خطّ سيرنا كله ، منذ دخلنا إلى هنا ، وهو سيخرجنا من هنا ، دون أن يبالى بالمرايا .

ثم أمسك (نور) ، وضغط زرّ حزامه ، صائحًا :

ـ المجد لـ (أدريكا) ..

واندفعت حزمة ضوئية بيضاء ، تتوسطها حزمة خضراء ، تشقّ طريقها إلى خارج حصن الجحيم ..

إلى الحرية ..

* * *

تألّقت عينا ملك (السوريت) ببريق وحشىّ ، وهو يشير إلى طوابير الشعب الذليل ، هاتفًا :

ـ نصر رائع يا وزير الحرب .. نصر محا كل هزائمك أمام المنقذ الأسطورىّ .

ابتسم وزير الحرب فى فخر ، وهو يقول :

ـ لم يعُد هناك منقذ أسطورىّ.. لقد انتهى ، و.....

بتر عبارته فجأة ، حينما شقّت الفضاء حزمة الضوء الأبيض ، ذات القلب الأخضر ، وارتفعت إليها كل الرءوس ، وشهق الملايين فى آن واحد ، عندما هبطت حزمة

الضوء على منصّة الملك ووزيره ، وتجسّدت على هيئة فارسين ، أحدهما من (جودان) ، والثانى من الأرض ..

وتراجع الملك ووزيره فى رُعب هائل ، واتسعت عيونهما فى ذُعر وذُهول ..

ورفع (نور) سيفه عاليًا ..

وتألّق السيف بذلك البريق الأخضر ، الذى لم يسطع أبدًا ، مثلما سطع فى تلك اللحظة ، فصرخ الملك ووزيره فى رُعب ، وتراجعا ، فارتطما بحاجز المنصة ، و .....

وهَوَى رمز الطغيان إلى قرار الموت ..

وارتجّت (أدريكا) كلها بهتاف واحد ، يهتف باسم المنقذ الأسطورىّ ..

هنا انخلعت له قلوب المحتلين هلعًا ورُعبًا ..

وعندئذ ..

عندئذ فقط .. قامت الثورة ..

* * *

١١ ـــ الختـــام ..

تنهَّد (جوشا) فى ارتياح ، وهو يشير إلى (أدريكا) ، من شرفة القصر الملكى ، قائلًا لـ(نور) :

ـــ الحرية يا صديقى .. يا لها من كلمة ذات رنين رائع !

ابتسم (نور) ، وهو يقول :

ـــ لست أظنه يفوق رنين كلمة (الوطن) .

التفت إليه (جوشا) ، وابتسم فى حزن ، وهو يقول :

ـــ أما زلت تصرّ على الرحيل ؟

أجابه (نور) فى خفوت :

ـــ هذا حتمىّ .

غمغم (جوشا) :

ـــ الشعب هنا ينادى بك ملكًا .

ابتسم (نور) ، وهو يقول :

ـــ وأين تذهب أنت ؟.. إنك يا صديقى خير من يستحق مُلك (أدريكا) .

ثم انتزع السّيف من غمده ، وناوله له ، مستطردًا :

ـــ وتستحق هذا أيضًا .

التقط (جوشا) السّيف ، الذى تألّق بضوء أخضر هادئ ،

فهتف فى مزيج من الدهشة والفرح :

ـــ انظر .. لقد تألّق فى قبضتى .

ابتسم (نور) ، وقال :

ـــ لقد كنت تستحقه منذ البداية يا صديقى .

وضع (جوشا) يده على كتف (نور) ، وقال فى تأثُّر :

ـــ كيف يمكن لشعبنا أن يردَّ لك جميلك ؟

ضحك (نور) ، قائلًا :

ـــ بأن تعيدونى ـــ بأقصى سرعة ـــ إلى وطنى .

ابتسم (جوشا) فى مودَّة ، قائلًا :

ـــ سنفعل .

سأله (نور) فى تردُّد :

ـــ قُلْ لى .. كم سيكون قد مضى من زمن كوكبى ، حينما أعود إليه ؟

أجابه (جوشا) فى هدوء :

ـــ أسبوع تقريبًا .

هتف (نور) فى دهشة :

ـ فقط ؟!.. ولكننا كنا نسافر بسرعة الضوء . وفقًا لنظريات العالم (ألبرت أينشتين) .

قاطعه (جوشا) مبتسمًا :

ـ لست أعلم من (أينشتين) هذا ، ولكن كوْننا يفصله عن كونكم سديم كونى ، له خواصّ زمنية معقّدة ، ولقد ذهبنا إلى كوكبكم أكثر من مرّة ، ونحن نعلم كم يستغرق ذلك .

تنهّد (نور) ، وقال فى لهفة :

ـ أعِدْنِى إذن يا (جوشا) .

وضع (جوشا) يده على كتفه ، وهو يقول فى حزم :

ـ ستعود ..

* * *

وكانت تلك الليلة ، التى بدأت بها قصتنا ..

ليلة الربيع ، ذات الجوّ المنعش ..

فى حديقة منزل (نور) ..

وكان الدكتور (حجازى) يغمغم :

ـ الأساطير لاتنتهى أبدًا . ولقد أصبحت أكثر ميلًا إلى نظرية (نشوى) .

ورفع رأسه إلى السماء ، مستطردًا فى حزم :

ـ إنه سيعود .

لم يكد يتمّ عبارته ، حتى تعلّق بصره بحزمة من الضوء تهبط نحو الحديقة فى سرعة ، وقبل أن ينبس أى من الحاضرين بكلمة ، بلغت الحزمة أرض الحديقة ، وتجسّدت على هيئة رجل يبتسم فى سعادة ، وتطلّع إلى الجميع فى لهفة وشوق ..

وهبّ الجميع من مقاعدهم ، وتهلّلت أساريرهم ، وكانت (نشوى) أول من اندفع نحوه ، هاتفة فى سعادة شملت الكون كله :

ـ لقد عاد ..

ـ نعم .. لقد عاد حامل (السّيف البلّورىّ) ، ومقتحم (أبواب الموت) ..

عاد ظافرًا ..

* * *

[تمت بحمد الله]

رقم الإيداع ٣٢١٥